
دور التربية الأخلاقية الإسلامية
في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية

© دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٦ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

يالجن ، مقداد

دور التربية الاخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الانسانية ـ الرياض.

١٤٢ صفحة . ٨، ١٦×٢٤ سم

ردمك ٧ ـ ٤٣ ـ ٧٧٥ ـ ٩٩٦٠

١ ـ التربية الإسلامية ٢ ـ الاخلاق الإسلامية ٣ ـ الإسلام والمجتمع
أ ـ العنوان

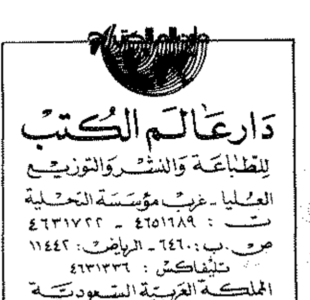
ديوي ٣٧٧،١ ١٦/٢٢٤٨

الطبعة الأولى
١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م

الطبعة الثانية

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع : ٢٢٤٨ / ١٦
ردمك : ٧ ـ ٤٣ ـ ٧٧٥ ـ ٩٩٦٠



سلسلة كتاب تربيتنا
(٨)

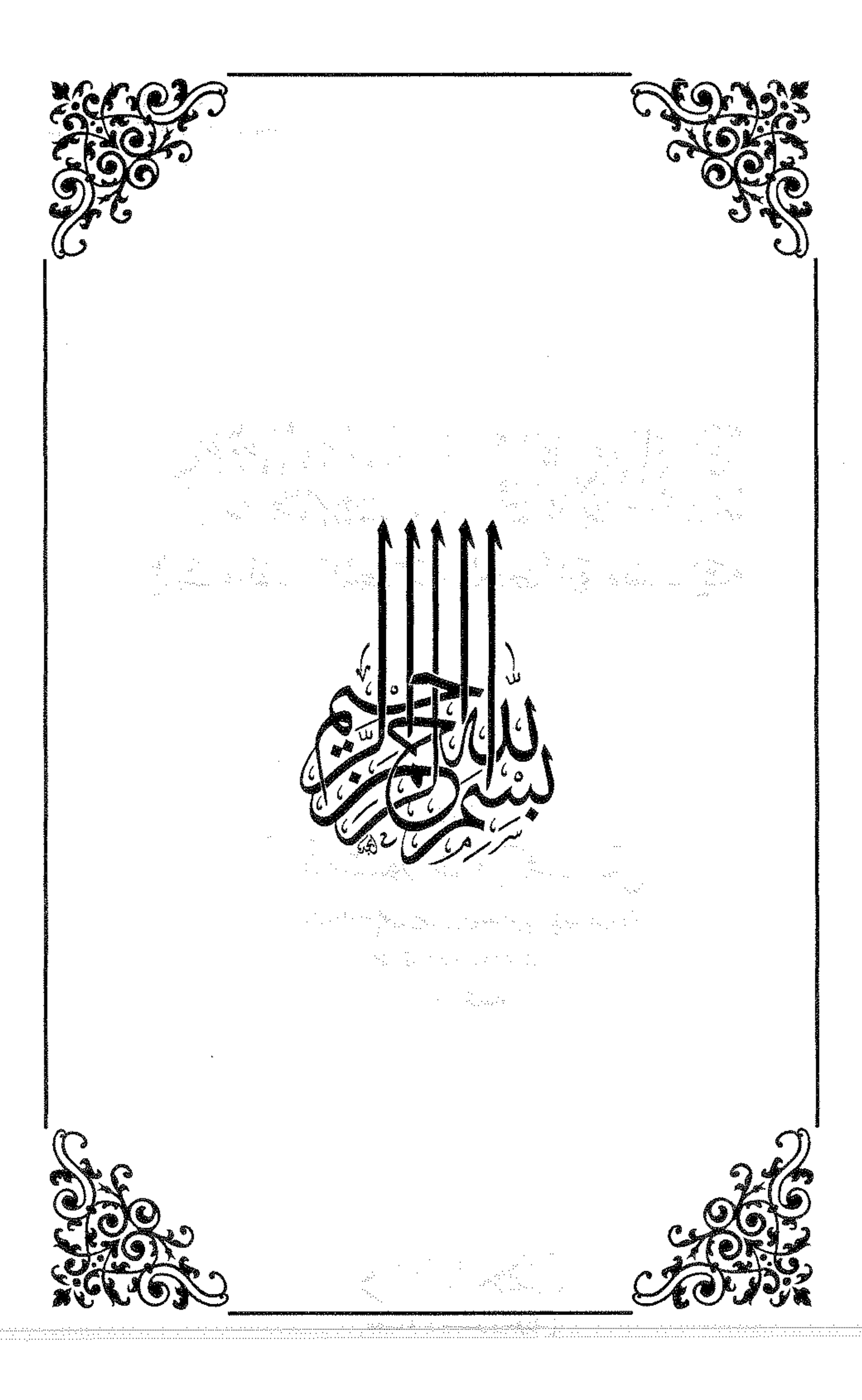
دور التربية الأخلاقية الإسلامية

في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية

تأليف
أ. الدكتور مقداد يالجن

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية العلوم الاجتماعية
قسم التربية

دار عالم الكتب
للطباعة والنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنّ العالم اليوم يعيش أزمةً حضاريةً أمام تحولات حضارية خطيرة أمام غياب توازن حضارى وغياب حضارة نموذجية تكون قادرة على إسعاد البشرية .

وقد ظهرت هذه الأزمة بصورة أخرى عند انهيار الجناح الغربى من الشيوعية الذي كان في مقدمة المواجهة الحضارية مع الغرب، ثم اتجاهه نحو الانضمام إلى الحضارة الغربية بعد التخلى عن مبادئها وقيمها وفلسفتها.

وهناك نصف آخر من العالم الشيوعى اهتز كيانه - وهو الصين الشيوعية بعد انفصال روسيا، وبقى فى حيرة من أمره بين السير وراء النصف الآخر وبين المحافظة على كيانه مع بعض التغييرات والتعديلات ،فى نظامه، ولكنه مازال فى تذبذب بين الاتجاهين.

هذا إلى أنّ هناك أجزاء انفصلت عن الشيوعية ، وهى تنتمى أصلاً إلى الحضارة الإسلامية عقيدةً ونظاماً ، وهى فى حيرة من أمرها بين التوجه إلى الحضارة الغربية، وبين التوجه إلى أصلها الحضارى، ذلك أن اتجاه دولها قوى نحو تقليد الحضارة الغربية برمتها، واتجاه شعوبها قوى نحو العودة إلى أصلها .

وهؤلاء المسلمون وأشباههم فى البلاد الإسلامية الأخرى أصبحوا فى حيرة من أمرهم بين النفور من الشيوعية بسبب ما عانوا منها، والنفور من الحضارة الغربية التى لا خلاق لها ، والتى ليست أقل ظلماً من الشيوعية بأى حال، وإن ادعى أهلها المساواة والحرية والعدالة الإنسانية .

ولقد ظهر زيف ذلك فى مشكلة البوسنة والهرسك والشيشان ، وموقفها من الأقليات الإسلامية الأخرى ، إلى جانب انتشار الجرائم وأنواع الفساد الأخرى لعدم اهتمامها بالأخلاق والآداب، وبصدها عن الاتجاه إلى الحضارة الإسلامية،

والإدعاء بأنها حضارة تاريخية مطمورة فى التاريخ وغير واضحة المعالم العملية ، ولا يعرف لها نظام متكامل بكل أبعاده يمكن تطبيقه فى العصر الحديث بل يحتاج إلى بحوث متواصلة حتى يمكن وضعه موضع التنفيذ ، ولهذا لا يستطيعون اقناع الحكام بامكان تطبيقه فى الحياة العملية .

على أى حال ، هناك اتجاه بدأ يتكون فى الأذهان وفى الأبحاث نحو إيجاد البديل الأفضل عمّا هو قائم الآن ، ولكن ما الواجب علينا إزاء هذه التحولات والأزمة الحضارية والتكتلات الدولية حول نظام العالم الجديد وإزاء المواقف الحائرة؟

إن علينا استثمار هذه الظروف لتدعيم الاتجاه نحو البحث عن البديل الأفضل والنموذج الأمثل من الحضارة الأصيلة والمعاصرة التى تلائم طبيعة الإنسان وطبيعة العالم الإسلامى نحو الحضارة التى تسعد ولا تشقى، وتحقق الاستقرار والأمن والرخاء ، وتحقق لهذا العالم الريادة والقيادة .

وقد كنت اتجهت إلى البحث عن البديل الأفضل، وعندما أدركت المخاطر فى ادعاءات الشيوعية وحضارتها ، وفى الحضارة الغربية التى لا تتفق طبيعتها المادية مع الطبيعة الإنسانية ، ولا تحقق كل مطالب هذه الطبيعة وحاجاتها الأساسية ، مع إهمالها كلياً الحاجات الروحية والقيم الأخلاقية ، حيث يؤدى ذلك إلى اختلال التوازن فى الحياة ،وكلما تقدم الجانب الأول وتأخر الجانب الثانى زاد اختلال التوازن الطبيعى فى حياة الإنسان العصرى . وهذا الأمر سوف يؤدى فى النهاية إلى ضياع الروح والأخلاق وفساد القلب ، وسيكون هذا سبباً لضياع الجسم والعقل والروح معاً فى النهاية .

ومن ثم يؤدى إلى انهدام طبيعة البناء الاجتماعى والحضارى معاً .

ونتيجةً لاختلال ذلك التوازن الطبيعى فى حياة الفرد ، وفى حياة المجتمع نرى ازدياد ظهور المظاهر الشاذة والمنحرفة فى حياة الأفراد والمجتمعات ، يتمثل ذلك فى الأمراض الروحية المنتشرة، وكثرة الانتحارات والجرائم الفظيعة والقلاقل

والاضطرابات المستمرة فى الحياة، مما جعل كثيراً من المفكرين الاجتماعيين وعقلاء الأقوام فى تلك الدول المتقدمة حضارياً ينادون ، بل يصرخون بإعادة بناء الأفراد والمجتمع والحضارة على أساس الدراسة التكاملية للطبيعة الإنسانية ، والاهتمام بجميع جوانب هذه الطبيعة وحاجاتها المتكاملة ، الحاجات الجسمية والعقلية والروحية معاً . وسنشرح ذلك مع ذكر أقوالهم فى ثنايا البحث فى الموضوعات المختلفة .

ذلك أنهم بدورهم أدركوا خطورة مصير شعوبهم ، وهم يرجعون ذلك التوزع والتشتت وكثرة الانحرافات والشذوذ والشرور والجرائم إلى طغيان النوازع المادية والأنانية، وفقدان الحياة الروحية الأخلاقية وذلك لإهمالها فى الحياة وعدم الاهتمام بها فى ميدان التربية .

ونتيجة لذلك، بدأ الأفراد يستخدمون علومهم وثقافتهم فى سبيل تحقيق مآرب شخصية غير أخلاقية دون إعطاء أى اعتبار للمبادىء الإنسانية والقيم الأخلاقية، إذ كيف يتصور العاقل مثلا أن تتفق مجموعة من الأطباء القائمين على صناعة الأدوية المهمة لمعظم أفراد المجتمع على احتكار المادة الأساسية فى صنع تلك الأدوية، ثم يبيعونها باعتبارها مادة مخدرةً غالية إلى أصحاب اللهو والمرح والأمزجة الخاصة بأثمان باهظة ؟ ، والمرضى يصرخون من الآلام والأمراض التى يعانونها ويئنون ليلاً ونهاراً ومن شدة وطأتها عليهم . أى ضمير وأى إحساس يقبل هذا ؟ وخاصةً أن دخل أولئك الأطباء من أعلى مستويات الدخل فى البلاد .
ومن هذا القبيل أننا لو ذكرنا اختلاس بعض المهندسين وبعض أصحاب السلطة من الأموال العامة بطريق مباشر أو غير مباشر فإنه يطول بنا الأمر ولا يتسع له المقام.
ثم إنه لما زادت معارف هؤلاء وثقافتهم زاد جنايتهم على الناس ، لدرجة أن بعض الأفراد يهدد حياة بعضهم الآخر ، كما أن بعض الدول يدمر بعضا بأحدث الأسلحة والصناعات الكيميائية الفتاكة من أجل أغراضٍ غير أخلاقية، وليس هناك رادع أو زاجر أخلاقى يمنع الآخرين من الإقدام على إهلاك غيرهم إلا خوفهم من أن يفعل بهم الآخرون مثل ذلك .

فلو أنهم أمنوا من أن خصومهم لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك لأهلكوهم بدون أن يشعروا بأى وخز ضمير أو إحساس أخلاقى أو عذاب وجدانى ، لأنه لم يبق لهم ضمير أو إحساس أخلاقى أو أدبى ، بعد إهمال ذلك الإحساس ، وطغيان النوازع الأخرى الشريرة عليه، ولقد أعلنت إحدى الجرائد أن فى إحدى المستشفيات فى تلك البلاد قتلوا حوالى ٧٠ شخصا لبيع اعضائهم ونقلها إلى المرضى بأثمان باهظة .

تلك حقيقة يستطيع أى قارىء أن يحيط بها ويقتنع بتلك الفكرة إذا أمعن النظر فى الجرائم والانحرافات المتزايدة التى تحدث على مستوى الأفراد والجماعات والدول فى هذه الأيام حيث يأكل القوى الضعيف ويفترسه كما يفترس الذئب النعاج، ويتفرج أصحاب المصالح على المظالم الفادحة والمذابح البشرية أمام قوة حفظ السلام، وتنتهك حقوق الإنسان التى أقرتها الأمم المتحدة، والأمم المتحدة تتفرج على تلك الانتهاكات، والتى تعرض الصحف والمجلات بعض أشكالها وألوانها، ويزيد اقتناع القارىء لو درس الحياة الاجتماعية الداخلية لتلك الشعوب التى هى أكثر تقدماً منا، كما يزيد خوفه عندئذ من خطورة الموقف والمصير وفى مقال لى نشر فى جريدة الشرق الأوسط ذكرت فيه أربع حملات إبادة و٢٥ أسلوبا من أساليب التعذيب ترتكب فى البوسنة والهرسك فى وسط الحضارة الغربية .

وإنى، لإدراكى العميق لتلك الأخطار المحدقة بحياة الإنسان المعاصر والمجتمعات المعاصرة التى فقدت الحياة الروحية والأخلاقية، وخوفى الشديد على مصير مجتمعنا الإسلامى بعد أن رأيته يسير وراء تلك المجتمعات التى تدعى التقدم والرقى ويحاول تقليدها واتباع خطواتها شبراً بشبر ، فإنه بدون شك يكون مصيره يوماً ما كما آل إليه مصير تلك الشعوب والمجتمعات .

ولشعورى بالمسئولية الإنسانية إزاء المجتمع الإنسانى بصفة عامة وبالمسئولية الإسلامية إزاء مجتمعى اندفعت لإنقاذ مجتمعنا أولاً ليكون رائداً مثالياً للمجتمعات الأخرى فى اتخاذ سبيل الحياة السعيدة للحياة الإنسانية والابتعاد عن طريق الشقاوة

والتعاسة التى لا شقاء ولا تعاسة بعدها . وذلك بإعادة بناء الفرد والمجتمع والحضارة على أساس الروح الأخلاقية الخيرة لنستطيع أن نسير فى طريق خير وإلى غاية خيرة وإلى مصير خيّر .

ومن المفيد هنا أن أبين شرح هذه الروح الخيِّرة التى تتولد فى نفس الإنسان وأبين أن أساس تكونها يرتكز على أساس الإيمان بالله أولاً، ثم الإيمان بالبعث والحساب يوم القيامة ، ذلك أن الإنسان المؤمن بالبعث والحساب يراقب سلوكه الذاتى بجميع أشكاله الظاهرة سوالخفية ، ولا يقبل أن يصدر عنه أى قول أو عمل يسىء إلى الآخرين لأنه سيحاسب على ذلك يوم القيامة ، وأن كل صغيرة أو كبيرة ستسجل فى صحيفة أعماله ، ويجازى عليها بالثواب أو العقاب .

إن جوهر المشكلة الأخلاقية التى يدور الخلاف حولها والتى ترتكز عليها الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية يرجع إلى غياب الإيمان القوى بالله سبحانه وتعالى والإيمان بالحساب يوم القيامة فى ظل عدالة إله خالق قادر واحد قهار ، إذ لو كان يؤمن هذا الإيمان أولئك الأطباء والمهندسون وأصحاب السلطة الذين ذكرتهم فى المثال السابق لما أقدموا على ما أقدموا عليه من استغلال عباد الله وتسخيرهم لتنفيذ مآربهم الشخصية فى ابتزاز الأموال والإبادة بالأساليب الوحشية، لأن المؤمن بالله والحساب لا يمكن أن يقدم على عمل من تلك الأعمال الشريرة، لأن إيمانه يمنعه من الفساد فى الأرض والاعتداء على الناس، حتى إن ذلك الإيمان ليمنعه من ظلم الحيوان الضعيف الذليل العاجز .

إن حضارة أوروبا وأمريكا وروسيا ومن تسير فى فلكها من الدول الأخرى فى العالم، تقوم على الأخلاق المادية ذات الأسس النفعية والإلحادية، والمفاهيم الخاطئة عن الدين عند بعضهم الذين يدعون أن الدين فى القلب وأنه قضية شخصية لا علاقة لها بالتعامل مع الناس والسياسة ، وهذا التعامل الذى يقوم على أساس المنفعة والمصلحة الشخصية وتحقيق الأهداف المتعلقة بالفرد أو الجماعة بما يعود عليهم بالرفاهية وبسط النفوذ فى جميع المجالات السياسية والثقافية والعلمية والاجتماعية بصورة عامة، وعلى المستويات الشتى .

وهكذا الحال فى كل شأن من شئون الحياة، تطبيق مبدأ الغاية تبرر الوسيلة، مهما كانت تلك الغاية من الدناءة والحقارة ما دامت تحقق نفعا وديا أو قوميا أو تشبع غريزة أو تأخذ ثأرا التى يجب تحقيقها .

أما الأخلاق فى الحضارة الإسلامية فهى مبنية على أساس الروح الخيرة، القائمة على الإيمان بالله والحساب فى الآخرة ، وبهذا ينضبط سلوك الأفراد والجماعةوالدولة .

لأن الروح الأخلاقية الخيرة ، إذا تغلغلت فى جميع الاتجاهات الإنسانية وتمّ بناء الفرد والمجتمع والحضارة على أساس تلك الروح ، زالت روح الشر من النفوس عندئذ ، ثم إن تلك الروح بطبيعتها الخيرة تدفع الفرد والمجتمع والحضارة إلى التقدم باستمرار فى جميع مجالات والتفوق الحضارى لأنها تولد روح المسابقة فى جميع المجالات ، فهى تدفع كل انسان فى مجال عمله ومهنته إلى الرقى والتقدم، وأن يقدم أكبر قدر أكبر من الانتاج لينال ثواباً أكثر من غيره ، ولينال درجات أعلى عند الله ، كما يتسابق اللاعبون فى ميادين الألعاب .

ولكن لا يمكن تكوين هذه الروح وتزويد كل فرد فى المجتمع بها إلاّ بالتربية الأخلاقية المنظمة فى المناهج التعليمية . ووظيفة هذا الكتاب الذى نحن بصدد تأليفه الآن إبراز أهمية هذه التربية وأغراضها ووظائفها الأساسية فى بناء خير فرد وخير مجتمع وخير حضارة إنسانية .

أما وضع هذه التربية موضع التنفيذ فى النظام التربوى ، فذلك أمر يحتاج إلى بحوث، وحجمها - فى تصورى حالياً - يتكون من سبعة مجلدات ، ثلاثة منها أصول، وأربعة عملية تطبيقية . وقد بدأت بهذا الإنجاز تحت عنوان : موسوعة الأخلاق الإسلامية .

وهنا جوانب أخرى من الدراسة ، وهى إبراز خصائص الحضارة النموذجية

العصرية التى تناسب طبيعة المجتمعات الإسلامية وتكون بديلاً عن الحضارة الغربية التى افتتن بها الناس ، وتحاول هذه الحضارة صهر العالم الإسلامى فى بوتقتها وتشكل الأجيال المسلمة بشكلها .

هذه الأعمال بحاجة إلى فريق عمل ، إذ لا يمكن أن يقوم بها فرد ، ولهذا فكرت بإنشاء مركز يقوم بهذه المهمة، ويكون له مجلة وجريدة ، وسلسلة بحوث، كل بحث يحاول إبراز جانب من جوانب هذه الحضارة .

وبدأت العمل فعلاً بإنشاء مركز تحت عنوان : مركز أبحاث الحضارة النموذجية

وباعتبار أن هذا الكتاب جاء للإسهام فى مجال معين لحل هذه المشكلة الكبيرة، فلتحقيق أهدافه اقتضى الأمر أن يتكون من الفصول الآتية :

الفصل الأول : خصائص التربية الأخلاقية الإسلامية الاجتماعية والحضارية.

الفصل الثانى : دور التربية الأخلاقية فى بناء الفرد .

الفصل الثالث : دور التربية الأخلاقية فى بناء المجتمع .

الفصل الرابع : دور التربية الأخلاقية فى بناء الحضارة .

الفصل الخامس : أهم أساليب التربية الإخلاقية الإسلامية الحضارية

الفصل السادس الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

الفصل الأول

خصائص التربية الأخلاقية الإسلامية الاجتماعية والحضارية



لا نستطيع تحديد ذلك الدور فى تلك المجالات تحديداً كاملاً إلا بعد تحديد خصائص هذه التربية ومميزاتها إذ ليس كل تربية تستطيع أن تقوم بذلك الدور فى بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية .

وتلك الخصائص ترجع أساساً إلى أمرين : أولهما الأخلاق التى تقوم عليها تلك التربية من حيث مفهومها. وأسسها . وغايتها . وقيمها . وما إلى ذلك وثانيهما حقيقة تلك التربية وخواصها الذاتية .

وقيمة أية أخلاق لا تظهر إلا بعد دراسة خصائصها إذ إن معرفة خاصية الشيء متوقفة على معرفة حقيقته. ولا أريد هنا تناول كل تلك الحقائق الخاصة بالأخلاق الإسلامية ومميزاتها الأساسية التى خرجت بها نتيجة لدراستى هذه الأخلاق دراسة خاصة فى كتابى « علم الأخلاق الإسلامية » دراسة مقارنة[١] وإنما أريد أن أذكر خلاصة الخلاصة التى خرجت بها وأحيل القارىء بعد ذلك إلى ذلك الكتاب لكل التفصيلات الخاصة بجميع الموضوعات الأخلاقية .

إن مفهوم الأخلاق الإسلامية هو علم الخير والشر والحسن والقبح وهو أوسع مفهوماً مما جاءت به الأديان والفلسفات حتى الآن . حيث إن الأخلاق الإسلامية يدخل فى إطارها جميع العلاقات الإنسانية حتى علاقة الإنسان بغيره من الكائنات الأخرى الحية. والسلوك الأخلاقى فى نظر الإسلام هو كل سلوك خيِّر وحسن يقوم به الإنسان بإرادة خيِّرة ولغاية خيِّرة. والإنسان المتخلق هو الإنسان الخيِّر فى حياته الظاهرة والباطنة. لنفسه ولغيره على حد سواء . كما أن المبادىء الأخلاقية التى جاء بها الإسلام والتى ينظم بها الحياة الأخلاقية تشمل شتّى سلوك الإنسان . لحياته الخاصة ولحياته مع غيره معا . وتلك المبادىء الأخلاقية تحمل قيماً مختلفة، فنجد هناك مثلا قيما اجتماعية وعلمية وإنسانية وسياسية واقتصادية وما إلى ذلك. وتلك القيم ليست نسبية وإنما هى ثابتة لا تتغير ؛ لأن الحقائق الأخلاقية ثابته فى ذاتها وكذلك قيمها ثابتة. تتضح تلك الحقيقة لدارس الأخلاق

---

(١) دار عالم الكتب الرياض ، ١٤١٣ .

إذا فرق بين القيم الأخلاقية الأساسية وبين العادات الأخلاقية عندئذ يتضح الفرق تماماً. لكن الذى يتغير تقييم الناس لها من حيث إعطائهم قيمة كثيرة أو قليلة بحسب الظروف والأحوال. ويجب الكشف عن قيم تلك المبادئى بتنمية الاكتشافات العلمية المتعلقة بجوانب تلك المبادىء الأخلاقية . كما تخضع ذلك التقييم للاتجاهات الفلسفية فى تنظيم الحياة الإنسانية ولاهتماماتها الخاصة فى هذه الحياة. ثم تجارب الناس فى هذه الحياة وملاحظاتهم لحياة المجتمعات وما ترتب على تلك الحياة من تعاسة وشقاوة وأضرار ومفاسد إذا خرج مجتمع على القوانين الأخلاقية من أجل تحقيق المنافع المادية والمآرب الشخصية أو القومية.

أما فيما يتعلق بالخصائص والمميزات الراجعة إلى حقائق التربية الأخلاقية بعينها فإننى درست ذلك دراسة مفصلة فى بحثى الخاص بعنوان «التربية الأخلاقية الإسلامية» فقد عالجت هذا الموضوع هناك من حيث مفهومها . وغايتها . وأسسها. ومعاييرها. وطرقها . ومراحلها. ووسائلها المختلفة [1] .

ولا أريد دراسة ذلك كله هنا وإنما أريد الاختصار على حقيقة هذه التربية وخصائصها الأساسية؛ ولأستطيع بيان تلك الخصائص المميزة لابد من بيان حقيقة هذه التربية لدى الفلاسفة والمربين . قديماً وحديثاً ولو بإيجاز. لنستطيع أن نقدر قيمة ما جاء به الإسلام لأن قيمة الشىء لا تتضح تماما إلا إذا قارناه بغيره . إذ الأمور تتضح قيمها عند المقارنة بغيرها مقارنة علمية .

أولاً : اتجاهات المربين فى التربية الأخلاقيه وأهميتها :

وإذا بحثنا عن آراء فلاسفة التربية والمربين فى هذا الموضوع وجدناها كثيرة لا نستطيع ذكرها كلها هنا ولهذا أريد تصنيفها تحت أنواع واتجاهات آتية :

الاتجاه الأول يرى : أن التربية الأخلاقية هى الاعتياد على المبادىء الأخلاقية أى ممارستها زمنا طويلا حتى تصبح عادة بحيث تصدر من المرء تلقائيا من غير تفكير

---

(١) علم الأخلاق الإسلامية دار عالم الكتب الرياض ١٤١٥ هـ .

ولاروية كما تصدر الأفعال الغريزية أو الطبيعية ؛ لأنها تصبح عندئذ طبيعة ثانية .

وقد تبنى هذا الاتجاه كبار الفلاسفة والمربين القدماء ومنهم أرسطو الذى يرى أن التربية الأخلاقية هى الاعتياد على السلوك الأخلاقى أو الفضائل الأخلاقية وذلك خلاف التربية العقلية التى تكون - فى رأيه - بالتعليم التجريبى . يقول أرسطو فى هذا الصدد «إن الفضيلة على نوعين أحدهما عقلى ، والآخر أخلاقى . والفضيلة العقلية تكاد تنتج دائماً من تعليم، إليه يسند أصلها ونموها ، ومن هنا يجىء أن بها حاجة إلى التجربة والزمان . أما الفضيلة الأخلاقية فإنها تتولد على الأخص من العادة والشيم » [١] وتعتمد العادة فى التنمية الأخلاقية - فى رأيه - على وجود قابلية فى الإنسان للتخلق. يقول « إن الفضائل ليست فينا بالطبع وحده وليست فينا كذلك ضد إرادة الطبع ، ولكن الطبع قد جعلنا قابلين لها، وإن العادة لتنميها وتتمها فينا » [٢] ويشرح كيفية الاعتياد قائلاً «يصير الإنسان عادلاً بإقامة العدل وحكيما بمزاولة الحكمة وشجاعا باستعمال الشجاعة »[٣] وأن يستمر على ذلك « إن الإنسان لا يحصل الفضيلة إلا بالتكرار المستمر لأفعال العدل والاعتدال » [٤] ومن ثم ينصح الحكام والمربون بناء التربية الأخلاقية على هذا الأساس فيقول : « فإن الشارعين لا يصيرون الأهالى فضلاء إلا بتعويدهم ذلك وإن أولئك الذين لا يؤدون هذه المهمة كما ينبغى يخطئون الغرض الذى يقصدونه، وهذا هو ما يقرر كل الفرق بين حكومة طيبة وحكومة خبيثة » [٥] .

ومنهم أيضاً جان جاك روسو الذى يقول « وما التربية يقيناً إلا عادة» [٦]

---

(١) علم الأخلاق لأرسطو ترجمه أحمد لطفى السيد دار الكتب المصرية . القاهرة ١٩٢٤ جـ ٢ ص ٢٢٥ .

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٢٦ .

(٣) المرجع السابق جـ١ ص ٢٢٧ .

(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٢٨ .

(٥) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٢٧.

(٦) أميل جان جاك روسو ترجمة نظمى بوفا الشركة العربية القاهرة ١٩٥٨. . ص ٢٧ .

والطريق إلى تكوين العادة هو الممارسة المستمرة . كما ذكرنا وكما يقول هو بنفسه «فليست طريقتى فى التربية إلا الممارسة العملية للحياة والدروس العملية للفضيلة»[١] .

ومنهم **جون لوك** الذى يرى أن التربية عبارة عن تكوين عادات جسمية وفكرية وخلقية[٢] .

ويؤيد هذا الإتجاه أيضاً من الفلاسفة المسلمين الإمام الغزالى الذى يقول « ولن ترسخ جميع الأخلاق الدينية فى النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها » [٣] ويقول أيضاً «الطريق إلى تزكية النفس اعتياد الأفعال الصادرة من النفوس الزكية الكاملة حتى إذا صار ذلك معتادا بالتكرار مع تقارب الزمان حدث منها هيئة للنفس راسخة تقتضى تلك الأفعال وتتقاضاها بحيث يصير له ذلك بالعادة كالطبع فيخف عليه ما كان يستثقله من الخير » [٤] .

ومن الفلاسفه الذين يؤيدون هذا الاتجاه أيضاً ابن سينا إذ يقول «والذى يحصن به الإنسان نفسه الخلق ، ويكتسبه متى لم يكن له خلق أو ينقل نفسه عن خلق صادف نفسه ، علَّته هو العادة وأعنى بالعادة تكرار فعل الشىء الواحد مراراً كثيرة زماناً طويلاً فى أوقات متقاربة » [٥] .

كذلك يسير على هذا النحو ابن مسكويه الذى يقول «فالأخلاق منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرب » [٦] .

---

(١) أميل ص ١٠٨ .

(٢) تاريخ التربية مصطفى أمين دار المعارف مصر القاهرة ١٩٤٥ ص ٢٨١ .

(٣) إحياء علوم الدين الإمام الغزالى مكتبة المشهد الحسينى جـ ٣ ص ٥٨ .

(٤) ميزان العمل للإمام الغزالى، ص٥٩.

(٥) علم الأخلاق لابن سينا ص ١٩٧ مطبوع مجموعة- الرسائل « انظر المراجع » .

(٦) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص ٣١ « انظر المراجع » .

غير أن بعض المفكرين لم يقتنعوا بأن يكون مجرد الاعتياد تربية أخلاقية لأن الذى يوجه سلوك الإنسان دائماً ليس مجرد الاعتياد بل إن كثيراً ما يعتاد الناس على سلوك معين ثم يغيره عندما يقتنع بفكرة أو اتجاه معين فى أسلوب الحياة وبناء على ذلك ساروا على اتجاه آخر .

وهو الاتجاه الثانى الذى يرى أن التربية الأخلاقية هى تكوين بصيرة أخلاقية عند المرء بها يستطيع التمييز بين سلوكى الخير والشر ويدرك تماماً أن الخير فى الفضيلة والشر فى الرذيلة وأن السعادة تتبع الفضيلة والشقاوة تتبع الرذيلة ، كما يجب تكوين وعى بأن الفضيلة ميزة النفس الإنسانية الشريفة ومن ثم يجب أن يتبع الإنسان الأخلاق . لأنها سلوك إنسانى يجب اتباعه لا لأنها تجلب للإنسان الخير والسعادة فحسب. بل لأنها زينة الإنسان وفى خصائص السلوك الإنسانى.

ومن أنصار هذا الاتجاه الفليسوف الألمانى كانط الذى يمثل مذهبا أخلاقيا متميزاً يقول كانط « إن هذا التعليم (التربية الأخلاقية أو التعليم الأدبى على حد تعبيره) يراد به أن يكون للفتى بصيرة يعرف بها ما هو حسن نافع وما هو قبيح ضار . . . وتعليمه الحقائق فى أنفسها لتتربى فيه الأخلاق الفاضلة من ذات نفسه لا من الخارج [1] وأن يعلم أن للإنسان شرفا خاصاً وسموا يجب عليه أن يتصف به حتى يكون أرقى من جميع الخليقة على الأرض فإن سلك سبيلا غير تلك السبيل بأن خالفه في نفسه وقار الإنسانية وشرفها فقد أخل بواجبها وعد من الخاسرين»[2] والبصيرة الأخلاقية تبنى - عنده - على أساسين الأساس النفسى والأساس العقلى وإن كان يرجح أو يهتم بهذا الأخير أكثر من الأول [3] .

على أى حال فإن البصيرة هى الأساس فى التربية الأخلاقية فى نظره ويؤكد ذلك بقوله «قلنا إن الإنسان لايصل إلى الكمال إلا بالتعليم ولكن التعليم إنما يكون بالفطنة والبصيرة» [4].

---

(١) كتاب التربية كانط الترجمه طنطاوى وجوهرى ص ٥٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٥ .

(٣) مقدمة بارتلمى لعلم الأخلاق لأرسطو ص ١٤٨ .

(٤) كتاب التربية كانط «مرجع سابق» ص٢١.

الاتجاه الثالث يرى أن التربية الأخلاقية عبارة عن تلقين المبادىء الأخلاقية بأساليب آمرية وتحذيرات خطابية وذكر أنواع الفضائل الأخلاقية وأنواع المحرمات والرذائل دون بيان القيم المختلفة لكل فضيلةودون بيان المضار المترتبة على كل رذيلة. سولقد عرض الفيلسوف سبنسر بعض صور التلقين قائلاً : « أيها الولد ليست قيمة المرء مقدار نصيبه من مفاخر الحياة الدنيا وإنما قيمته حظه من الآخرة، لذلك كان الأفضل احتمال الظلم والأخذ بلعفو، لا تحدث ضوضاء أيها الغلام. يجب أن تطيع والديك »[1] وما إلى ذلك من الأساليب الخاصة في تلقين المبادىء الأخلاقية دون تبصيرهم بحقائقها ومدى ضرورتها للحياة الإنسانية الفردية والاجتماعية وما يترتب على انتهاكها من مفاسد وشرور وتعاسة وشقاوة فى حياة الفرد والمجتمع . ولهذا كله نقد المربون المحدثون هذا الاتجاه فى التربية الأخلاقية وعدلوا عنه .

الاتجاه الرابع هو الاتجاه الروحي الصوفى الذى يرى أن التربية الأخلاقية ليست مجرد الاعتياد على الأفعال الأخلاقية الظاهرية المادية ، وليست كذلك مجرد خلق بصيرة أخلاقية وليست أخيراً مجرد تلقين وتعليم للمبادىء الأخلاقية بل إنها فوق ذلك وأكثر من ذلك هو تطهير النفس من كل الرذائل والنوازع الشريرة وتحليتها بجميع الفضائل الأخلاقية ظاهرا وباطنا : وهذا الاتجاه نجده لدى المتصوفين بصفة عامة[2].

ففيما يتعلق بالتصوف يعرف كل من درس التصوف باعتباره طريقا روحيا للاتصال بالله، فإنهم فى مفهومهم للأخلاق يضعون ثلاث مراحل فى طريق الوصول إلى الله الأولى التخلية من جميع الرذائل ، والثانية التحلية بجميع الفضائل، والثالثة مرحلة الشهود والثبات فى حضرة الله .إذن فلا سبيل إلى الوصول إلى الله إلا بقطع هاتين المرحلتين ، واهتموا بهاتين المرحلتين كثيراً لدرجة أن بعضهم قصر التصوف على هاتين المرحلتين فحسب وقال « التصوف الدخول فى كل خلق سنى والخروج مـن كل خلق دنـى» [3] لأنه إذا قطع هاتين

(١) فى التربية سبنسر ، ترجمه محمد السباعى مطبعة الجريدة مصر ١٩١٨ص ٩٠ .

(٢) فى الفلسفة والأخلاق د. محمد كمال جعفر ص ٢٨٨ .

(٣) الرسالة القشيرية الإمام القشيرى ص ٢١٧ .

المرحلتين وصل إلى الله وإلى مرحلة الشهود، ويعرف التهانوي التربية الأخلاقية أو الرياضة الأخلاقية على حد تعبيرهم بأنها « استبدال الحال المذمومة بالحال المحمودة»[1] .

ومن مميزات التربية الصوفية أنهم لا يكتفون بتأديب النفس وتطهيرها من جميع الرذائل والتحلية بالفضائل بل يهتمون بتأديب جميع الأعضاء والجوارح فيتكلمون عن أدب الأعضاء وتحديد حركاتها المؤدبة وغير المؤدبة من السمع والبصر واللسان واليدين والرجلين وما إلى ذلك [2] . ولهذا يقول الدكتور أحمد صبحى «لم يعرف فى تاريخ المذاهب الأخلاقية قوم اشتدوا فى مخالفة النفس وتصفية الباطن كما فعل الصوفية » [3] .

ويسمى الدكتور غوستاف لوبون هذا اللون من التربية بالتربية الباطنية أو بالتأديب الباطنى على حد تعبيره وذلك مقابل التأديب الخارجي ويرجح الأول على الثانى لأنه هو الذى يمكن أن يدوم بينما التأديب الخارجى الذى يتم تحت الخوف والضغط ليس بالتأديب الذى تؤمن عواقبه ويقول « تقاس قوة الأمة بما لديها من الرجال الحائزين لذلك التأديب الباطنى » [4] وباعتبار أن هذه التربية تؤثر فى الشعور ومن ثم يؤثر فى سلوكه لا شعوريا فإنه يثبت أن ذلك يورث من الآباء إلى الأبناء[5] كما أن الخصائص النفسية الأخرى تنتقل بالوراثة كما يثبت ذلك بعض علماء الإجرام والوراثة [6] .

الاتجاه الخامس يرى أن التربية الأخلاقية هى تكوين استعداد أخلاقى بحيث يتشعب هذا الاستعداد إلى سلوك أخلاقى بسهولة ومن تلقاء نفسه فى المواقف التى تتطلب عملا أخلاقيا .

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ص ٥٦٤ .

(٢) أدب المريد ص . للسهروردى . . مخطوط بمطبعة الأزهر برقم ٧ صـ ٤٧ وما بعدها . .

(٣) الفلسفة الخلقية فى الفكر الإسلامى ص ٢٣٦ .

(٤) روح التربية د. غوستاف لوبون ص ٣٠٩.

(٥) المرجع السابق ص ٣٠٩ .

(٦) تأملات فى سلوك الإنسان د. االكسيس كارل صـ٨٧ .

وهذا الاتجاه هو ما ذهب إليه أنصار الاتجاه الاجتماعى ، الذى يتبناه أوجست كونت وليفى بريل ودوركايم وأتباعهم. وقد كتب هذا الأخير كتابا مستقلا فى التربية الأخلاقية يعبر فيه عن رأى هذا الاتجاه فى التربية الأخلاقية فيقول « فإن تكوين الطفل أخلاقيا لا يعنى أن نغرس فيه إحدى الفضائل الخاصة ثم نتبعها بثانية فثالثة ، وإنما يكون فى الاستعانة بالوسائل الملائمة لتنمية هذه الاستعدادات العامة بل لخلقها خلقاً ، وبمجرد أن توجد هذه الاستعدادات لا تلبث أن تتشعب بسهولة من تلقاء نفسها حسب ما تقضيه تفاصيل العلاقات الإنسانية » [١] .

ويكون تكوين الاستعدادات عن طريق غرس العناصر الرئيسية فى الأخلاق، وبناء على الاتجاه الاجتماعى فى الأخلاق يرى دوركايم ثلاثة عناصر رئيسية وهى روح الخضوع للنظام وروح التعلق بالهيئة الإجتماعية وأخيراً استقلال الإرادة[٢]، ويقول بعد تحديد تلك العناصر «بعد أن حددنا العناصر المختلفة التى تتألف منها الحياة يتعين علينا الآن أن نبحث عن الوسائل التى تمكننا من غرس هذه العناصر وتعهدها بالنمو فى نفس الطفل » [٣] .

بعد هذا العرض لهذه الاتجاهات فى التربية الأخلاقية أحب أن أقول إن هذا الاختلاف لا يعنى اختلافهم فى جميع الوسائل التى يتخذها اتجاه من الاتجاهات وإنما يعنى أن تقويم الوسائل وإعطاء الأهمية لها بحسب دور كل وسيلة فى تحقيق هذا المفهوم، بل إن تحديد مفهوم التربية الأخلاقية يبنى - أحيانا - على أهم وسيلة يراها اتجاه ما بأنها كفيلة بتحقيق غرضه في هذه التربية فإن اتجاه الاعتياد مثلا مبنى على اتخاذ التعويد أهم وسيله لهذه التربية ولا يعنى هذا أنه يغفل عن الوسائل الأخرى. فإن من يقول مثلا إن التربية هى تكوين بصيرة أخلاقية لا يغفل عن دور تعويد النشء من الصغر على المبادىء الأخلاقية وإنما يرى أن مجرد التعويد بدون التبصير عمل تربوى واه لا يدوم ولا تؤمن عواقبه .

---

(١) التربية الأخلاقية دوركايم ص ٢١ . (٢) المرجع السابق ص ١٨ . ٦٤ . ٩٣ .

(٣) المرجع السابق ص ١٢٤ .

ثانياً حقيقة التربية الأخلاقيه الإسلامية ومميزاتها الأساسية

إن حقيقة هذه التربية فى نظر الإسلام تنشئة الطفل وتكوينه إنسانا متكاملا من الناحية الأخلاقية بحيث يصبح فى حياته مفتاحا للخير ومغلاقا للشر فى كل الظروف. والأحوال. هذا مفهوم عام وإذا بحثنا عن المفاهيم الخاصة وجدنا اهتمامات خاصة بمعظم المفاهيم التربوية التى رأيناها سابقا لدى الفلاسفة والمربين، لأن ذلك مهمة لتكامل التربية الأخلاقية ، وذلك بصرف النظر عن درجة أهمية كل واحد منها .

فمن حيث تطهير النفس أولاً من جميع الرذائل الأخلاقية والإرادات الشريرة، فهذا أمر لا غنى عنه فى ميدان التربية ولهذا وردت نصوص كثيرة فى هذا الميدان منها قوله تعالى « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت. . ويطهركم تطهيراً»[١] «ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم » [٢] .

لكن مجرد التطهير لا يكفى فى ميدان التربية لأن من معانى التربية التنمية أى تنمية الروح الأخلاقية ونزعات الخير فى نفس المرء وقد استخدم فى هذا الميدان التزكية فى القرآن لأن التزكية تفيد التطهير مع التنمية أو تقوية دوافع العمل الصالح كما يرى الإمام الفخر الرازى [٣] ولهذا كان الرسول يستخدم أساليب كثيرة يقوى بها دواعيهم إلى الإيمان والعمل الصالح [٤] لأن التربية كانت من ضمن أهداف الإسلام ولهذا أيضاً جاء الإسلام بأساليب ووسائل للتربية ومن ثم أرسل الرسول مبلغاً كما أرسل أيضاً مربيا « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم » [٥] .

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣. .

(٢) سورة المائدة ٦ .

(٣) تفسير الفخر الرازى جـ٤ ص ٧٥ .

(٤) تفسير الفخر الرازى جـ ٤ص٧٥

(٥) سورة البقرة ١٥١ .

إذ قد جاءت التزكية فى القاموس المحيط وأساس البلاغة بمعنى التطهير والتنمية، وقال صاحب أساس البلاغة: « ويقال مجازا رجل زكى أى زائد الخير والفضل، ولذلك قال تعالى: « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها »[١] ثم ـ ربط الله الفلاح والنجاح بتزكيه النفس وتطهيرها من جميع الشرور والرذائل والسيئات والنية والشريرة ولذلك قال تعالى : « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » [٢] ويتكلم الإمام الفخر الرازى عن معانى التزكية هنا ويقول « فاعلم أن التزكية عبارة عن التطهير أو عن الإنماء»[٣] ويتكلم عن معنى « وقد خاب من دساها » فيقول « من دسها فى المعاصي حتى انغمس فيها (والمعنى الآخر) أن من أعرض عن الطاعات واشتغل بالمعاصى صار خاملا متروكاً منسيا فصار كالشيء المدسوس فى الاختفاء والخمول » [٤] .

ولكن تنمية الروح الأخلاقية تحتاج إلى تعليم وتبصير أخلاقى إذ لابد من وعى أخلاقى ليدرك الإنسان حكمة المبادئ الأخلاقية ولابد من بصيرة أخلاقية ليستطيع المرء التمييز بين السلوك الخير والسلوك الشرير وما يترتب على الفضيلة من الخيرات وما يترتب على الرذائل من مضار وشرور ؛ ولهذا جاء الرسول معلماً ومربيا، معلماً المبادىء وحكمتها فقال تعالى : « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون»[٥] .

ويقول الإمام الفخر الرازى عن سبب جمع الله تعالى بين التعليم والتزكية عند تفسير قوله تعالى «يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم »[٦]

---

(١) سورة التوبة ١٠٣ .

(٢) سورة الشمس ٧ – ١٠ .

(٣) تفسير الفخر الرازى ج٣١ ص ١٩٣ .

(٤) المرجع السابق جـ ٣١ ص ١٩٤ .

(٥) سورة البقرة ١٥١ .

(٦) سورة البقرة ١٢٩ .

واعلم أن كمال حال الإنسان في أمرين أحدهما أن يعرف الحق لذاته والثانى أن يعرف الخير لأجل العمل به، فإن أخل بشيء من هذين الأمرين لم يكن طاهرا من الرذائل ولم يكن زكيا عنها [1] ولهذا كانت من أساليب التعليم الإسلامية التبصير بالحقائق وأن يكون المربى أيضاً على بصيرة بأساليب التربية « قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى »[2] « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها »[3] «وأبصرهم فسوف يبصرون»[4].

ومن ثم دعا الإسلام إلى تعليم الخير وتعلمه لأنه وسيلة التبصرة وتكوين الوعى الأخلاقى فقال « إن الملائكة وأهل السماء والأرض حتى النملة فى حجرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير »[5] وقال « من دل على خير فله مثل أجر فاعله »[6] .

لكن لا يكفى تكوين بصيرة أخلاقية إذ لابد مع ذلك من تكوين الاستعداد الكامل للالتزام بالمبادىء الأخلاقية واجتناب الرذائل والشرور فى كل الظروف والمواقف بحيث لا يكتفى بالتزام ذلك بنفسه بل يدعو غيره كذلك إليه ويحارب الشر أينما وجد وحيثما كان. ويمكن التعبير عن ذلك بتكوين روح الخير أو تكوين الإنسان تكوينا خيراً وقد عبر الله سبحانه عن نمط الشخصيات الخيرة أو الصالحة فقال « يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين » [7] .

---

(١) تفسير الفخر الرازى ج٤ ص ٧٤ .

(٢) سورة يوسف ١٠٨ .

(٣) سورة الأنعام ١٠٤ .

(٤) سورة الصافات ١٧٥ .

(٥) التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول . منصور على ناصف جـ ١ ص ٦٤ .

(٦) التاج المرجع السابق جـ ١ ص ٦٩ .

(٧) سورة آل عمران ١١٤ .

فإذا وصل المرء إلى هذا المستوى فقد تكون أخلاقيا وأصبح إنساناً كاملا، إذ الإنسان باكتماله أخلاقيا يكتمل انسانياً وإسلامياً ومن ثم يصبح مسلما كاملا، ولهذا قال الرسول « خيركم إسلاماً أحاسنكم أخلاقاً إذا فقهوا »[1] .

وأخيراً أكمل صورة للإنسان الذي يمكن أن تكونه التربية الأخلاقية هو ذلك الإنسان الذى يصل إلى مستوى يصبح فيه مفتاحا للخير ومغلاقا للشر فى نفسه وفي مجتمعه وهذا ما عبر عنه الرسول بقوله « فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر »[2] .

وبناء على هذا كله يمكن أن نعبر عن آخر صورة للتربية الأخلاقية فى نظر الإسلام بأنها تنشئة الطفل على المبادىء الأخلاقية وتكوينه بها تكويناً كاملا من جميع النواحى وذلك بتكوين استعداد أخلاقى للالتزام به فى كل مكان وإشباع روحه بروح الأخلاق وذلك بتكوين عاطفة وبصيرة. أخلاقية حتى يصبح مفاتيح للخير ومغاليق للشرور أينما كان وحيثما وجد باندفاع ذاتى إلى هذا وذاك عن إيمان واقتناع وعن عاطفة وبصيرة. وذلك باستخدام جميع الأسس والطرق والوسائل والأساليب التى تساعد لتحقيق وتكوين ذلك الإنسان الأخلاقي الخير. وإنما قلت بالتنشئة أولا لأنها تفيد الاعتياد والاعتياد له فائدة من حيث إنه يجعل الطفل يعتاد على السلوك الأخلاقى ويجعل هذا السلوك سهلا عليه بطول المران؛ ولهذا نجد الرسول كان يعود الأطفال الذين نشأوا فى بيته على بعض المبادئ والآداب مثل آداب الأكل[3] وكان يأمر بتعويد الأطفال على الواجبات مثل الصلاة إذا بلغوا سبع سنين[4] قبل أن يصلوا إلى سن التكليف، لكى يسهل عليهم أداؤها إذا بلغوا سن التكليف. لكن مجرد الاعتياد لا يكون الأخلاق لأننا نجد كثيراً من الناس قد

---

(١) كتاب ا لأدب المفرد للإمام البخاري ص ٨١ .

(٢) المقاصد الحسنة الإمام السخاوى ص ١٢٩ .

(٣) فتح البارى بشرح البخارى جـ ١١ ص ٤٥٠ كتاب الأطعمة .

(٤) المستدرك على الصحيحين فى الحديث جـ ١ ص ١٦٧ كتاب الصلاة .

نشأوا على الاعتياد فى أسر متدينة فإذا ما خرجوا عن أسرتهم أو عن مجتمعهم يتركون الواجبات وينحرفون سريعا عن الجادة؛ ولهذا فإن للإعتياد أثرا تربوياً فى المراحل الأولى، لكن من الخطورة بمكان الاكتفاء به بل لابد من أن يعقبه تبصير لقيم الأخلاق ولابد من تكوين إيمان قوى بالأساسيات النظرية للسلوك الأخلاقى ليكون المتربى واقفا على أرضية صلبة فى مسلكه لا تزعزعه التيارات المتعارضة التى تهب من الشرق أو من الغرب. ولابد من تكوين عاطفة أخلاقية لأن مجرد التبصير لا يكفى أيضاً فلابد من أن تكون وراء ذلك طاقة عاطفية تدفعه إلى السلوك الأخلاقى، وهنا سنجد أنفسنا مضطرين إلى استخدام بعض أساليب التلقين وطرقها، لتكوين تلك العاطفة وخاصة في بعض المراحل التربوية، لكن الاقتصار على طريقة التلقين فى التربية الأخلاقية خطأ شنيع فى ميدان التربية المتكاملة ولقصور تربية الآباء والمعلمين بصفة عامة الآن على التلقين فى التربية نجد قلة التربية وكثرة الانحراف والأحداث، ومن الخطأ أيضاً الاكتفاء بتعليم الأخلاق باعتبارها علماً دون تربية الأجيال على القيم الأخلاقية .

بعد ذلك لابد من تكوين قوة الإرادة لأن الكثير من الناس ومن الشبان يرون الاستقامة فضيلة لكن لضعف إرادتهم فى المواقف الضاغطة والمثيرة لا يستطيعون التغلب على الشهوات والأهواء ، أولا يستطعيون مواجهة المواقف الأخلاقية التى تتطلب الشجاعة والبسالة التى لا تكون بدون قوة الإرادة،ولهذا ولا يمكن تكوين استعداد أخلاقى متكامل بدون تكوين قوة الإرادة وأن تكون هذه الإرادة خيرة . وتطهير نفسه من الميول السيئة، والإرادات الشريرة، وبدون هذا التطهير سيكون الاستعداد الأخلاقى ناقصا . بل يكون خطيراً ، لأن امتلاء النفس واختلاطها بالرذيلة والفضيلة وبالإرادات الخيرة والشريرة يجعل الإنسان يعيش فى صراع أخلاقى دائم .

ولهذا كان موقف الإسلام البدء بالتربية الأخلاقية من تطهير الباطن من الرذائل وحماية الأطفال من تسربها إلى نفوسهم كان ذلك موقفا سليما لتكوين استعداد أخلاقى من البداية وتنمية هذا الاستعداد للتحلى بالفضائل والرقى فى درجات

التكامل. لكن لا يمكن تربية الطفل على ذلك النحو وتكوين ذلك الاستعداد وتلك العناصر الأخلاقية الأساسية فى نفس المتربى بحيث يتشبع بها عقله وروحه إلا عن طريق استخدام كل الطرق والوسائل الخاصة بكل جانب من تلك الجوانب التربوية.

ولهذا كان موقف الإسلام البدء بالربية الأخلاقية من تطهير الباطن من الرذائل وحماية الأطفال من تسربها إلى نفوسهم كان ذلك موقفا سليما لتكوين استعداد أخلاقى من البداية وتنمية هذا الاستعداد للتحلى بالفضائل والرقى فى درجات التكامل. لكن لا يمكن تربية الطفل على ذلك النحو وتكوين ذلك الاستعداد وتلك العناصر الأخلاقية الأساسية فى نفس المتربى بحيث يتشبع بها عقله وروحه إلا عن طريق استخدام كل الطرق والوسائل الخاصة بل جانب من تلك الجوانب التربوية .

وسنجد فى الإسلام أنه قد بين تلك الطرق والأساليب والوسائل الخاصة بمختلف مراحل هذه التربية . وذلك لتكوين كل عنصر من عناصر التربية الأخلاقية مثل عنصر العاطفة والبصيرة والإرادة وما إلى ذلك . وشرحنا ذلك بالتفصيل مدعما باالآيات القرآنية والأحاديث النبوية عند الكلام عن مراحل التربية الأخلاقية وطرقها ووسائلها في كتابنا التربية الأخلاقية الإسلامية .

من هذا كله نستطيع أن نقرر خصائص المفهوم الإسلامى لحقيقة التربية الأخلاقية ومميزاتها فى النقط الآتية :

١- إن نظرة الإسلام إلى حقيقة التربية الأخلاقية تتسم بالعمق والشمول بالنسبة إلى نظرة فلاسفة التربية ، لأنها أكثر عمقاً من أية نظرة من تلك النظرات أو الآراء وأكثر شمولا لأنها لا تقتصر على وجهة نظر واحد من أولئك المربين وليست مقابلة لوجهة نظر معينة أيضاً .

٢- إن وجهة نظر الإسلام متكاملة في هذه التربية لأنها تتناول جميع الجوانب الإيجابية للتربية الأخلاقية المتكاملة . وبالنظرة الفاحصة يجد الإنسان أن

كل العناصر التى أدخلها الإسلام فى طبيعة التربية الأخلاقية ضرورياً لابد منها لكى تكتمل هذه التربية ولكى يكتمل المتربى أخلاقياً وإذا نقص أى عنصر منها أدى الأمر إلى النقص فى هذه التربية .

٣- إن الإسلام دعا إلى استخدام جميع الطرق والوسائل والأساليب التربوية على حسب تأثيرها ومقدارها اللازم فى كل مرحلة من مراحل التربية الأخلاقية . فالاقتصار على طريقة واحدة أو وسيلة واحدة على امتداد مراحل التربية، أو التركيز على بعضها دون البعض أقل مما ينبغى أو أكثر مما ينبغى يكون له أثر سلبى فى التربية ولا يؤدى الأمر فى النهاية إلى انسجام فى شخصية المتربى الأخلاقية وموازنة فى السير على الطريق المستقيم .

٤- يقتضى هذا وذاك عدم الأخذ بأى اتجاه تربوى سابق لدى فلاسفة التربية ومحاولة التوفيق بينه وبين الاتجاه التربوى الإسلامى لمجرد أن هناك اتفاقا بينه وبين وجهة نظر الإسلام، ثم محاولة حمل جميع النصوص الواردة فى الإسلام وتأويلها على ذلك الأساس كما يفعل بعض الدارسين، إذ إن ذلك الاتفاق اتفاق فى الجزء لا فى الكل، فإن كل اتجاه من تلك الاتجاهات يمثل جزءا من حقيقة التربية الأخلاقية المتكاملة فى نظر الإسلام

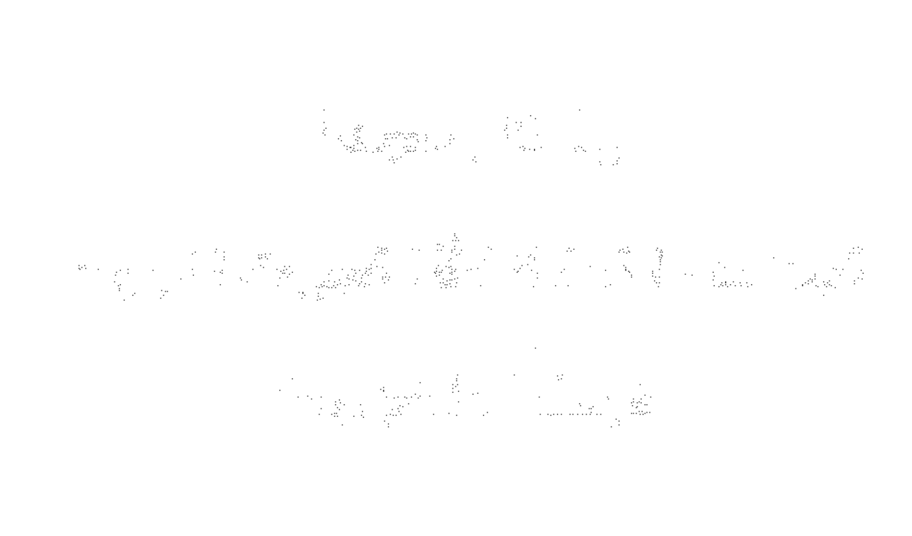
٥- إدخال ذلك المفهوم الواسع الشامل للأخلاق الإسلامية فى وعى المتربى وذلك على النحو الذى بيناه وفصلناه عند تحديد مفهوم الأخلاق الإسلامية.

٦- تدريبه فى جميع تلك الميادين الأخلاقية وتربيته على أساس ذلك المفهوم الواسع الشامل لميادين الأخلاق الإسلامية؛ لأن مجرد تعليمه ذلك المفهوم لا يكفى، بل يجب إضافة إلى ذلك تربيته وفقا لذلك المفهوم.

الفصل الثانى

دورة التربية الأخلاقية الإسلامية

فى بناء الفرد



إن بناء الفرد أخلاقيا ليس ضرورياً للنجاح فى حياته الخاصة فحسب بل إنه ضرورى أيضاً لبناء المجتمع ولبناء الحضارة الإنسانية الراقية ؛ ذلك أن الأفراد بمثابة لبنات والبناء الاجتماعى مكون من هذه اللبنات؛ فإذا أردنا أن نكوِّن مجتمعاً خيراً فلابد من تكوين أفراد أخيار قبل ذلك، ثم إنه لا يمكن أن يسعد فرد فى مجتمع مهما كان خيراً فى ذاته إذا كان المجتمع فاسدا ثم شقيا ثم ولا يمكن تكوين مجتمع سعيد أيضاً إذا كان مكونا من الأشرار أو من الأخيار والأشرار معاً . إذا الأمر يتحول عندئذ إلى صراعات مستمرة بين الأخيار والأشرار أو بين الخير والشر فبقدرما ما يزداد عدد الأخيار عن عدد الأشرار يزداد الخير ويقل الشر ومن ثم تزداد رقعة السعادة وتقل رقعة الشقاوة فى المجتمع وإذا استطعنا جعل أفراد المجتمع أخياراً بالتربية الأخلاقية الإلزامية فى المدارس جعلنا المجتمع كله خيراً .

أما إذا كان الأفراد فاسدين فسيكون البناء الاجتماعى فاسداً من أساسه ولا يمكن إصلاحه بما هو عليه ، ومن ثم لا يمكن إقامة مدينة إنسانية أو حضارة إنسانية خيرة بأى حال من الأحوال. وإذا كان الأمر كذلك فلابد من البدء بالفرد وذلك بتكوينه إنساناً صالحاً خيراً لنفسه ولغيره معا، وهذا يكون بالتعليم والتربية الخيرة ؛ بتعليمه ما هو خير وما هو شر وأين تقع حدودهما فى ميدان السلوك الإنسانى . ثم بتكوين روح الخير في نفسه ونزع روح الشر منها، وذلك بتنشئته وتربيته من الصغر حتى يتأصل الخير فى نفسه ويتأصل الكره للرذائل والشرور فى قرارة نفسه عن علم وبينة ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالتربية الأخلاقية السليمة من الصغر .

ونظهر قيمة التربية الأخلاقية هنا من حيث أنَّ مجرد تعليم العلوم بدون هذه التربية لا يمكن أن يكون إنساناً خيراً بل قد يكون عدم تعليمه عندئذ خيراً من تعليمه ؛ لأن العلم سلاح ذو حدين إذا وقع فى يد الشرير استخدمه فى الشر وإذا وقع فى يد الخير استخدمه فى الخير ، وإذا كان الأمر كذلك فعلينا أن نعمل من البداية بحيث لا نضع هذا السلاح إلا فى أيدى الأخيار. ولا نستطيع ذلك إلا إذا بدأنا بالتربية الأخلاقية مع بداية التعليم وأن يكون اهتمامنا الأولى بها فى الدرجة

الأولي بالتربية الأخلاقية فى ميدان التربية والتعليم بصفة عامه .وأن تستمر التربية الأخلاقية بكل أبعادها فى جميع مراحل النمو ومع المراحل التعليميه جنباً إلى جنب، ومن الغريب أن بعض المدارس تقرر بعض المواد مثل الكمبيوتر ولا تقرر التربية الأخلاقية .والأ بعد هذا الاستعراض تدخل فى بيان الأراء فى الموضوع

أولاً: رأى المفكرين والمربين فى الموضوع :

فيقول أفلاطون هنا «إن العلم مع سوء التربية أكثر شرا من الجهل بغير التربية» [1] . ثم إن الشر أو الخطيئة الأخلاقية كجرثومة مرض قاتل لا يؤدى فى النهاية إلى إهلاك المصاب فقط بل يتعداه إلى غيره أيضاً .

وقد أدرك هذه الحقيقة من قبل الدكتور ألكسيس كارل العالم الفرنسي والحائز على جائزة نوبل حيث يقول فى هذا الصدد مثلا « فإن الإنسان لم يدرك بعد فداحة النتائج التى تترتب على الخطيئة . فكل خطيئة تؤدى إلى اضطرابات عضوية أو عقلية أو اجتماعية . وهي اضطرابات لا يمكن علاجها على وجه العموم . وإذا كانت التوبة لا تشفى تليف الأنسجة لدى السكير أو الأمراض العصبية لدى أولاد فإنها تعجز أيضاً عن إصلاح الاضطربات الناجمة عن الحسد والإسراف الجنسى والغيبة والنميمة والبغضاء . كما أنها كذلك لا تبعد الشقاء عن الشواذ الذين يولدون لأبوين مصابين بالعيوب . فالخطيئة تؤدى إن عاجلا أو آجلا إلي التدهور والموت. التدهور والموت للجانى نفسه أو للوطن أو للنوع . ولهذا يجب على كل فرد أن يكون قادرا على التمييز بين الخير والشر وأن يعرف أين توجد فى الميدان الممكن تلك الحدود الخفية التى تفصل بين المباح وغير المباح » [2] ويقول أيضاً : « نحن نعلم اليوم أن للفضيلة صفة الإلزام ؛ لأنها ليست شيئا

---

(١) الثقافة والتربية فى العصور القديمة دكتور إبراهيم سمعان ص ٢٢٩ .

(٢) تأملات فى سلوك الإنسان ص ٩٥ ألكسيس كارل ترجمه د . محمد القصاص المرجع السابق .

آخر سوى الخضوع لقوانين الحياة الأساسية ولا يستطيع أى إنسان أن يتخلص من هذه القوانين دون أن يعرض نفسه أو بلده أو ذريته للانحلال والموت »[1] ؛ ولهذا يحاول إبراز أهمية تكوين الشخصية الأخلاقية لنجاح الحياة فيقول : « إن نجاح الحياة الفردية أمر ممكن مع وجود نقص فى بعض نواحى الحياة كانعدام الحسن الجمالى مثلا ، ولكنه يتنافى مع انعدام الشخصية الأخلاقية »[2] وهو يرجح بدوره التربية الأخلاقية علي التربية العقلية فيقول « يتساوى النمو العقلى والنمو الخلقى من حيث ضرورتهما للبشر ولكن الانحطاط الخلقى يؤدى إلى كوارث أفدح من تلك التى يؤدى إليها الانحطاط العقلى »[3] ومن ثم يلوم المؤسسات التعليمية لعدم اهتمامها اللائق بالتربية الأخلاقية قائلا « ومن الغريب أن ممارسة الفضائل لا تعلَّم فى المدارس العامة ومع ذلك أليس من البديهى أنها ضرورية لنجاح الحياة الفردية والاجتماعية على حد سواء »[4] ويقول سير رتشرد لفنجستون فى هذا الصدد « لقد انشغلنا نحن فى تعليمنا أكثر مما ينبغى بشئون الحياة المادية وأهملنا التفكير فى روح الحياة فعلينا أن نعيد إلى تعليمنا وإلى حياتنا حيوية تنقصها دينا وفلسفة للحياة : مثلا أعلى واضحا محددا يهدى سلوكنا ويهذب نفوسنا ويسيطر على حياة الأفراد فينا ويسيطر بهم على حياة الأمة »[5] .

وقبل هذا أيد هذه الفكرة « كانط» الفيلسوف والمربى الألمانى حيث إنه بدوره أرجع كل الشرور إلى إهمال التربية الأخلاقية وقال « وهل الشر إلا نتيجة إهمال الطبائع الإنسانية وعدم قيادتها وحكمها حكما لا هوادة فيه »[6] ولهذا يقول «إن النقص الحاصل من إهمال التهذيب أشد وطأة وأضر بالإنسان من نقص التعليم ،

---

(١) المرجع السابق ص ٩٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٧٩ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٢٧ .

(٥) التربية لعالم حائر، س سير رتشرد لفنجستون ترجمه وديع الضبع ص ٣٩ .

(٦) كتاب التربية لكانط مرجع سابق ص ٢٦ .

فإن العلم يمكن تداركه في الكبر أما التهذيب وتحسين الخلق فهيهات هيهات أن يصلح أمد الحياة [1] ويقول الفيلسوف أفلاطون « إن كل ما على سطح الأرض وما في باطنها من ذهب لا يستحق أن يوزن بالفضيلة ، وإن المرء إن لم يقصر تشبثه على الخير وحده بكل قواه كان موردا نفسه ذلك الكائن القدسى موارد العار والاحتقار » [2] .

كذلك نجد نفس هذا الاهتمام بالتربية الأخلاقية عند الفيلسوف المربى أرسطو الذى يقصر تكوين إنسان صالح فاضل على التربية الأخلاقية ويقول « فيما يتعلق بالفضيلة لا يكفى أن يعلم ما هى . بل يلزم زيادة على ذلك رياضة النفس على حيازتها واستعمالها أو إيجاد وسيلة أخرى لتصيرنا فضلاء وأخيارا ، لو كانت الخطب والكتب قادرة وحدها على أن تجعلنا أخياراً لا ستحقت كما يقول « تيوغنيس » أن يطلبها كل الناس وأن تشترى بأغلى الأثمان وما يكون على المرء إلا اقتناؤها » [3] ويقول أيضاً : « ليس من السهل تغيير عادات قد أقرتها الشهوات من زمن طويل بمجرد الكلام » [4] وتأكيدا لهذا يقول أبادير حكيم « من الخطأ فى الرأى والنقص الفاضح فى التربية أن يهمل شأن تربية الأخلاق » [5] ؛ ولهذا أيضاً يعد وليم مكدوجل المربى الفرنسى الاجتماعى أمر التربية من أهم واجبات المرء وخاصة تربية نفسه فيقول : « إن واجب المرء نحو تربية خلقه وحسن سياسته أهم الواجبات كلها ملقاة على عاتقه فى الحياة » [6] .

أما الإمام الغزالى فيلقى مسئولية التربية الأخلاقية على الآباء يقول هذا بعد أن بين مدى أهمية التربية الأخلاقية من حيث إنها وسيلة إسعاد الإنسان « اعلم أن

---

(١) المرجع السابق ص ١٥ - ١٦ .

(٢) مقدمة علم الأخلاق لأرسطو مرجع سابق ص ٣٤ .

(٣) علم الأخلاق لأرسطو جـ٢ صـ٣٦٦ .

(٤) المرجع السابق جـ٢ صـ٣٦٧ .

(٥) التربية الأخلاقية أبادير حكيم ص ١٢١ .

(٦) الأخلاق والسلوك فى الحياة وليم مكدوجل ص ٦٣ .

الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها . والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة . . . وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقى وهلك وان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له »[1] .

تلك هى وجهات نظر الفلاسفة والمربين باختصار فى دور التربية الأخلاقية فى بناء الفرد ولننظر الآن دور التربية الأخلاقية الإسلامية، ومن الأهمية بمكان فى نهاية المطاف هنا تأكيداً لكل ذلك من الناحية العملية قول وزير التربية اليباني سابقاً عندما سأله أحد الصحفيين عن سر تقدم اليابان فقال إن السر يرجع إلي تربيتنا الخلقية، ومعلوم أن اليابان تهتم بالتربية الأخلاقية أكثر من غيرها .

ثانياً : دور التربية الأخلاقية الإسلامية فى بناء الفرد :

إن أهم دور للتربية الأخلاقية فى نظر الإسلام يمكن تحديده بصورة إجماليه فى كونها الوسيلة الوحيدة لبناء خير فرد وخير مجتمع وخير حضارة ، والعلاقة بين هذه الجوانب وثيقة الصلة ، من حيث إن بناء خير فرد وسيلة لبناء خير مجتمع وبناء خير مجتمع وسيلة لبناء خير حضارة ، والغاية من هذا كله تحقيق سعادة عامة وشاملة فى المجتمع لأنها إذا عم الخير الفرد والمجتمع واستخدام معطيات الحضارة فتكون السعادة نتيجة طبيعية لذلك فى حياة الفرد والجماعة .

ولنبدأ أولا ببناء الأفراد الأخيار، ذلك أن كل فرد يعد لبنة فى البناء الاجتماعى فإذا ربينا كل فرد تربية خيرة فنكون عندئذ قد كونا مجتمعا خيرا. ولكن ما هى العناصر الأساسية لبناء خير فرد لتكوين خير مجتمع ؟ تلك العناصر هى الآتية :

١ ـ تكوين روح الخير فيه بحيث يلتزم السلوك الخير ويسعى لتحقيق الخير للناس ما استطاع إلى ذلك سبيلا، كما يلتزم بتجنب سلوك الشر ويعمل ليحول

---

(١) إحياء علوم الدين الإمام الغزالى جـ ٣ ص ٧٢

دون وقوعه من أحد على أحـد كما يستهدف استخدام امكانياتـه العلمية في سبيل خير المجتمع أو الأمة وتكوين هذه الروح لـيس أمرا سهلاً، إذ قد يعلم المرء الخير ولكنه لا يدري كيف ينتهي إليه، ويعـرف الشر في سلوك ما ويعجز عن تجنبه وإذا كان علم الأخلاق يزود المرء بالمعرفة والتمييز بين سلوكين أو طريقين أحدهما يحقق الخير ويقـود ثانيهما إلى الـشر فإن الربية الأخلاقـية تكون في نفس المـرء استعداد يستطيـع به الالتزام بطريق الخير وتجـنب طريق الشر، ومن ثم نـتبين مدى ضرورة التربية الأخلاقية ولا سيما بالـنسبة لعلم الأخلاق، لأن هذا الخير إذا كان دوره أن يكشف لـلإنسان مواطن الخيـر وميادينه فإن الأولـى ترسم للإنسان الـطريق الذي ينتهي به إليه. ومن ضرورات هذه التربية تـكوين روح المحبة للخير والكره للشر. وذلك إلى جانب تكوين روح الالتزام به ومن ثـم فإن الشخص الذي يلتزم بالخير لا يلـتزم عن تكـلف وتصنـع إنما يلتـزم برغبة أكـيدة منه وعـن حب وتقديـر له. ويتجـنب الشر لا خوفا ولا قـهرا وإنما لاشمئـزاز منه وكره له، وبهـذه الروح ربى الرب عـباده الراشديـن فقال تعـالى: « ولكـن الله حبب إليـكم الإيمان وزينـه في قلوبكـم وكره إليكم الكفر والـفسوق والعصيان أولئـك هم الراشدون»[1]. ومن مميزات هذه الروح الخيرة أنها لا تكتفي بالسعي لفعل الخير والوقوف أمام الشر عن حب ورغبة. بل زيادة على ذلـك تسعى لتعليم الخير للناس وسـبل تحقيق الخيرات وعلـى هذا كان الرسـول يشجـع الأخيار قائـلا« إن الملائكـة وأهل وأهل السـماء والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحـوت يصلون على معلم الناس الخير»[2] وقائلا أيـضاً: «من دل على خيـر فله مثل أجر فـاعله»[3] هذا إلـى أنه لا يقـصر إحسانه على من يحـسن إليه ومعارفه بل يحسن إلى من عرفـه ومن لـم يعرفه حتى من أسـاء إليه، وذلك كـله لله لا لـكسب الصـيت أو كسب مـنفعة. وألا تـكون الأخلاق صفقة تجارية . وعلـى هذا يشجع الله عـباده ويربيهم « فـآت ذا القربى

---

(١) سورة الحجرات ٧ .

(٢) التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول جـ١ . ص ٦٤ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الإمارة جـ ٣ ص ١٥٠٣

حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون »[1] «ويُطْعمُون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً »[2] « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار»[3] وآخر ميزة لهذه الروح الخيرة أنها تسعى إلى الخير ولا تشبع من عمل الخيرات إلى آخر حياتها ولهذا قال الرسول : « لن يشبع مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة »[4] بل أكثر من هذا . كما أنه لا يفعل إلا الخير فإنه لا يقول إلا الخير أيضاً فقال الرسول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت »[5] .

٢- تكوين روح الأخوة الإنسانية

يجب أن يغرس في نفس الطفل منذ صغره بأن إنسانيته تقتضى أن ينظر إلى الناس كما ينظر لنفسه ؛ لأن الآخرين أناس مثله لهم حق الحياة وعليه التزامات ومسئوليات كما عليهم ، ولا فرق بين جنس وبين لون ولون آخر . بل كلهم سواسية من حيث أصل الخلقة لا فضل لأحد على آخر فقال الرسول « الناس مستوون كأسنان المشط ليس لأحد على أحد فضل إلا بتقوى الله »[6] لأنهم خلقوا جميعا من أصل واحد لذا قال الرسول : « كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان »[7] ولكل إنسان بناء على هذه الخلقة الأصلية كرامة إنسانية يجب احترامها «ولقد

---

(١) سورة الروم ٣٨

(٢) سورة الإنسان ٨ - ٩ .

(٣) سورة الرعد ٢٢ .

(٤) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر فى ألسنة الناس من الأحاديث جـ ٢ ص ٢١٥ .

(٥) صحيح مسلم جـ ١ ص ٦٨ كتاب الإيمان .

(٦) كشف الخفاء مرجع سابق جـ ٢ ص ٤٥١ .

(٧) تفسير ابن كثير جـ٤ ص ٢١٧ (والجعلان حشرة فى الأرض)

كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » [1] . وهذه النظرة الإنسانية إلى الناس تقتضى أن يحب الإنسان لأخيه ما يحبه لنفسه ، ولهذا قال الرسول أيضاً : « لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه » [2] .

لكن لا يمنع ذلك أن يرى لأهل الفضل فضلا وأن يفضل فى المعاملة الخير على الشرير ، بل يجب هذا ، لأنه إذا كان هناك قيمة أصلية أو كرامة أصلية فإن كرامة الإنسان وقيمته تزيد بفضل أعماله . وإحسانه ، وأن احترام المحسن أكثر من غير المحسن أمر تربوى يشجع الناس على الفضيلة فلا يستوى العالم مع الجاهل والمؤمن وغير المؤمن « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » [3] «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » [4] . وهل يستوى الصالح مع الطالح « يُأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » [5] لكن لا يقتضى ذلك التعدى على حقوق الناس الطبيعية فى الحياة لمجرد أنهم غير صالحين أو جاهلين أو غير مؤمنين، هذه الحقوق يجب احترامها بحكم الكرامة الإنسانية الأصلية .

ويقسم الدكتور محمد عبد الله دراز الكرامة الإنسانية إلى ثلاثة أقسام فيقول : « إن الكرامة التى يقررها الإسلام للشخصية الإنسانية كرامة مثلثة : كرامة هى عصمة وحماية ، وكرامة هى عزة وسيادة ، وكرامة هى استحقاق وجدارة ، كرامة يستغلها الإنسان من طبيعته ، ولقد كرمنا بنى آدم ، وكرامة تتغذى من عقيدته، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، وكرامة يستوجبها بعمله وسيرته «ولكل درجات مما عملوا » «ويؤت كل ذى فضل فضله » [6] .

---

(١) سورة الإسراء. ٧.

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشخيان محمدفؤاد عبد الباقي كتاب الإيمان جـ١ ص١٠ .

(٣) سورة الزمر ٩.

(٤) سورة المجادلة١١ .

(٥) سورة الحجرات ١٣.

(٦) نظرات في الإسلام دكتور محمد عبد الله دراز صـ٩٧

ومهما يكن من أمر فلا يصح أن يسخر قوم من قوم أو أن يرى قوم قوما آخرين دونهم فى المستوى بموجب المساواة الأصلية فى الكرامة الإنسانية ، ولهذا قال تعالى « يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » [1]، بل أكثر من هذا يدعو الإسلام الناس جميعا إلى الوحدة الإنسانية قال تعالى «قُلْ يُأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » [2] .

٣- تكوين الوعى بوحدة الحياة الاجتماعية

عندما نمعن النظر فى عمق الحياة الاجتماعية ومدى ما تتأثر به هذه الحياة من أعمال الأفراد الخيرة أو الشريرة عندما نمعن هذه النظرة يحق لنا أنه نشبه تلك الحياة بجسم واحد. ولنحلل هذه الحقيقة من بعض النواحى : وهى الناحية الصحية والأخلاقية وأخيراً ناحية ترابط المصالح .

أما من الناحية الصحية فإن الفرد فى المجتمع عضو في الجسم ، إذا أراد أن يحافظ المجتمع على سلامة جسمه يجب أن يراعى صحة وسلامة كل أفراده ، وعلى كل فرد أن يعد نفسه عضوا متصلا بجسم المجتمع ، وكما أن أى خلل فى أي عضو يؤثر فى الجسم كله كذلك أى خلل فى الجسم يؤثر فى الأعضاء كلها. وهذا يقتضى ألا يسمح المجتمع لأفراده بأن يتصرفوا كما يشاءون فى حق أنفسهم بدعوى أنهم إنما يتصرفون فيما يخصهم ، وأنهم بذلك إن أساءوا يسيئون إلى أنفسهم فقط .

ولتوضيح صدق ما ندعى ، لنضرب لذلك مثلا برجل يريد أن يحافظ على صحته فى مجتمع موبوء تسوده القذارة والأمراض المختلفة المعدية فإنه مهما حاول

---

(١) سورة الحجرات ١١ .

(٢) سورة آل عمران ٦٤ .

أن يحافظ على نفسه فلا يستطيع وقايتها ، ذلك أنه لا يستطيع أن يجد ما يشتريه وما يأكله نظيفا ، ولايستطيع كذلك وقاية نفسه من الأمراض المعدية ؛ لأن الهواء يكون موبوءاً بالجراثيم . وكذلك الأشياء التى يلمسها تكون ملوثة بالجراثيم؛ لأن هناك أمراضا تنتقل من الهواء وكما تنتقل بمجرد ملامسة لما لا مسه المريض ومن مصاحبة الناس ومصافحتهم أيضاً . وكذلك لو أهمل الفرد صحته وأصيب بأمراض فإن مرضه سوف يقعده عن العمل أولا ، وقد يكون عمله مهما فى المجتمع يترتب على تركه أضرار كبيرة كما تتأثر أسرته وأهله . وقد يؤدى مرضه إلى عدوى الآخرين ؛ ولهذا رسم الإسلام منهاج الصحة ووضع فيه أهم مبادئ الصحة الكاملة ، أى الصحة الجسمية والروحية والعقلية والنفسية [1] ، كل هذه الحقائق يجب إدخالها فى وعى الأطفال وإقناعهم بها وسوقهم إلى السلوك بموجبها لتتكون العادة الصالحة عندهم مع تكون النظرة السليمة إلى الحياة الاجتماعية .

وأما من الناحية الأخلاقية فيمكن أن نقول إن الأخلاق هى الرابطة بين أعضاء الجسم إذا شبهنا المجتمع بالجسم والأفراد بالأعضاء ، أو أنها هى الرابطة بين أعضاء الجسم إذا شبهنا المجتمع بالبناء والأفراد باللبنات . فإذا زالت الأخلاق انفصمت هذه الرابطة وانقطعت الصلات ، ومن ثم أدى الأمر إلى شلل الجسم وانهدام البناء الاجتماعى وكل عمل غير أخلاقى يصدر عن الفرد يضعف هذه الرابطة بينه وبين غيره ، إذ إن ذلك العمل يعد بمثابة ضربة توجه إلى لبنات هذا البناء ، وهى تهز تلك الرابطة بين لبناته أو تقطعها قطعا . وكلما زادت الأعمال غير الأخلاقية أوهنت أو أضعف البناء الاجتماعى إلى أن يتهدم ويصبح خاويا على عرشه . يقرر هذه الحقيقة أيضاص الفيلسوف الاجتماعى « دوركايم » عندما يعالج التربية الأخلاقية قائلا : « إذ إنه لو لم تتوفر للمجتمع تلك الوحدة التى تنشأ عن التنظيم الدقيق للصلات بين أجزائه وعما يكفله النظام الصالح من انسجام بين

---

(١) عالجت موضوع الصحة فى بحث آخر يطول بنا المقام لو أقحمته هنا . انظر البحث الخاص لى «طريق السعادة ص ١٢ - ٢٣ » .

وظائفه ، ولا تلك الوحدة التى تأتى من اتجـاه جميع القوى نحو هدف مشترك . فعندئذ لن يصبـح المجتمع سوى حفنة من الرمل تكفى أقـل هزة أو أضعف نسمة لتذروها فى الهواء، على ذلك فالشعور الذى يجب فى أحوالنا الحاضرة أن نحاول إيقاظـه هو الإيمان بمثـل أعلى مشـترك . . . لاشك أن ذلك هـو الهدف العـاجل للتربية الأخلاقية»[1] .

وليس لأحد أن يـدعى هنا أيضاً أنه إذا سلـك سوكاً غير أخلاقى فإنـه إنما يضر بذلك نفسه فقط ؛ إذ ليس هناك سلوك أخلاقى يقتصر ضرره على الفاعل فحسب حتى تلك الأفعال التى يدعى أنها يقـتصر ضررها على الذات الفاعلة إذا كان ذلك ضاراً. ولنضرب لذلك مثـلا بالرجل السكير . فالسكير لا يستـطيع الاحتجاج بأنه يحقق لنـفسه ضربا من المنفعـة . وأنه لا يضر بذلك أحدا ، لكـن إذا علمنا رأى الطب فى أضرار المسكرات ومـا ينتج عنها من الأمراض العصبية والـعقلية وغيرها وكيف أنهـا تؤثر أيضاً على ذريـة السكير ثم تكـون هذه المسكرات سببـا للحوادث وسببـا لارتكاب الجرائم عنـدئذ نعلم أن عـمله هذا ضار عـلى نفسه وعلـى ذريته وعلى المجتـمع أيضاً حتى ولـو فرضنا أن هناك سوكـاً غير أخلاقى ضاراً بـصاحبه فحسب أو يقـتصر شره على الفاعل فحـسب فإن فساد شخصية فى المجـتمع فساد للبنة فى البناء الاجتماعى . بل أكثـر من هذا فإن سماع ارتكاب جريمة فى المجتمع يؤثر على كل السامعين من حيث إيذاؤها لمشـاعرهم الأدبية ومن حيث تقليل الثقة بغيرهم وإثارة الرعب والقلق فى نفوسهم ، ثم زوال المودة والمحبة أو ضعفهما بين الناس ، وكل ذلـك يوهن العلاقات والـروابط بين أفراد المجتمـع ، وكلما زادت نسبة تـلك الجرائم زاد ضعف الروابط الأخـلاقية . ومن ثم لنا حـق فى أن نقرر هذه الحقيقة ، وهى أن كـل سلوك غير أخلاقى ضار بصاحبه وبغيـره أيضاً بطريقة من الطرق ؛ ولهذا كله كان الرسول دقيقاً عندما شبه المجتمع بجسم واحد فقال : «مثل المؤمـنين فى توادهم وتراحـمهم كمثل الجسـد الواحد إذا اشتكى مـنه عضو

---

(١) التربية الأخلاقي لدوركايم مرجع سابق ص ٩٩ .

تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[1] وشبهه مرة أخرى بالبناء فقال : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً »[2] وشبهة مرة ثالثة بالرجل الواحد فقال «المسلمون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله وإن اشتكى رأسه اشتكى كله»[3] .

ومن ثم قرر الإسلام مبدأ النصح فى المجتمع بأن ينصح كل فرد الآخر إذا رآه يخالف السلوك الأخلاقى فقال الرسول : « الدين النصيحة قلنا : لمن ؟ قال لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[4] وعلى ذلك كان يبايع الرسول . فروى عن جرير أنه قال : « بايعت الرسول على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»[5] ، ولهذا أيضاً قرر الإسلام أهم مبادئه وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال الرسول « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذون على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم »[6] وقالت زينب : « يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ فقال نعم إذا كثر الخبث »[7].

ولهذا كله يجب أن يعي الأطفال هذه الحقائق ومدى ارتباط حياة الأفراد بعضها ببعض من حيث التأثير والتأثر فى الخير والشر معا ، وكيف يمارسون مبدأ النصح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعدم تركهم الآخرين يتصرفون تصرفا خاطئا . ولو كان فى حق أنفهسم من حيث الظاهر ، ولقد ضرب الرسول لذلك مثلا رائعا ليعى الناس مدى ارتباط حياة أفراد المجتمع ارتباطا وشيجا . وذلك عندما شبه

---

(١) صحيح مسلم كتاب البر والآداب جـ ٤ ص ١٩٩٩ .

(٢) المرجع السابق جـ ٤ ص ١٩٩٩ .

(٣) المرجع السابق جـ ٤ ص ٢٠٠٠ .

(٤) المرجع السابق كتاب الإيمان جـ ١ ص ٧٤ .

(٥) المرجع السابق كتاب الإيمان جـ ١ ص ٧٥ .

(٦) رياض الصالحين الرمام النووى باب الأمر بالمعروف ص ١٠٤ .

(٧) المرجع السابق ص ٩٩ .

حياة المجتمع بحياة جماعة فى سفينة فى بحر فقال : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا فى الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا. وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعا » [1] وفعلا إنها ليست أية سفينة ولكنها سفينة حياة المجتمع بأسره .

وأما من ناحية ترابط المصالح العامة فإنه لابد من تكوين وعي بأن المصالح العامة مشتركة بين أفراد المجتمع وكذلك الخسائر ، فإن غنى الأفراد غنى لأفراد هذا المجتمع بشكل من الأشكال وفقرهم فقر لهم جميعا ، وهذا يقتضي أن يشجع الأفراد بعضهم بعضا على تنمية إمكانياتهم وقدراتهم المادية والمعنوية بدلا من أن يحسد بعضهم بعضا ويعمل ليحول دون بلوغ جاره أو صديقه إلى أهدافه المادية أو الأدبية ، ولو أن غرضه من ذلك مجرد تحقيق مصلحة ذاته ما دام الوصول إلى ذلك بطريق مشروع؛ ذلك أنه إذا كان ذلك فى ميدان العلم فإن ازدياد نسبة المتعلمين والعلماء يؤدى إلى تقدم المجتمع علمياً ، وإذا كان ذلك فى ميدان الأخلاق يؤدى إلى تقدم المجتمع أخلاقيا ، وإذا كان الأمر فى ميدان الغنى يؤدى الأمر إلى تقدم المجتمع ثروة ، ولا يستطيع أحد من هؤلاء أن يمنع انتقال بعض ما لديه إلى غيره؛ ذلك أنه لو أراد فرضا زيادة المكسب عن طريق إقامة مصنع فإنه يضطر عندئذ إلى استخدام مجموعة من العمال ليعملوا فيه ، فهذا فائدة لغيره ثم تأخذ منه الدولة ضريبة وهذا مكسب للحكومة وما يصنعه فى مصنعه يغنى الناس فى مجتمعه من أن يستوردوه مما يصنعه الآخرون فى المجتمعات الأخرى . وهذا بدوره يساعد على التقدم الاقتصادى ، وكذلك إذا أراد أحد أن يكون عالماً فى ميدان من ميادين العلم فإنه فى النهاية يضطر إلى استخدام علمه في ميدان عمله بالتعليم والتأليف أو فى ميادين العمل الأخرى . وفى ذلك فائدة

---

(١) هداية البارى إلى ترتيب أحاديث البخارى عبد الرحيم عنبر الطهطاوى جـ ٢ ص ١٢٦ .

لمجتمعه ؛ ولهذا فإن الحسد والإيقاع ومحاولة الوقوف أمام الناس يعد أخلاقا هدامة . ويعد الاجتماعيون وعلماء النفس مثل هذه الأخلاقيات السيئة أمراضا نفسية اجتماعية لأنها كالأمراض الأخرى التى تحول دون نهضة المجتمع ، ولا يكفى القضاء على هذه الأخلاقيات الهدامة ، بل لابد مع ذلك من زرع روح التعاون فى نفوسهم ، ولهذا وذاك لا يمكن إلا بالتربية الأخلاقية التى تدعو إلى التعاون فى الخير وعدم التعاون فى الإثم «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » [١] وإذا تصورنا عكس ذلك إذا تكاسل أو تقاعد أفراد المجتمع مثلاً ثم أصبحوا فقراء من جراء ذلك فمن الذى سيستفيد عندئذ من الفقر ومن الذى يتضرر ؟ لاشك أنه يتضرر كل واحد ، ثم يصبح كل واحد عالة على غيره ؛لهذا حرم الإسلام كل هذه الأخلاقيات الهدامة ونهى عن التكاسل والضعف لأنهما من عوامل الضعف الاجتماعى، ولهذا كان الرسول يستعيذ منهما قائلا « اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل »[٢] ، كما كان يشجع كل فرد على العمل لينفق على نفسه وعلى غيره ليكون فاضلا فقال « لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق به ويستغنى به عن الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه » لذلك « فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى وابدأ بمن تعول »[٣] كما نهى عن التسول فقال « ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة لحم » [٤] .

٤- تكوين روح الخضوع للنظام الأخلاقى

هذا العنصر ضرورى أيضاً للشخصية الاجتماعية للبناء الاجتماعى ؛ ذلك أن تكوين هذه الروح لدى أفراد المجتمع يؤدى إلى تماسك المجتمع وترابطه ووحدته وزوال القلاقل وسيادة الأمن فيه . ثم إن النظام والانتظام قوة له وتوجيه

---

(١) سورة المائدة ٢ .

(٢) صحيح مسلم جـ٤صـ٢٧٩ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الزكاة ، باب كراهة مسألة الناس جـ ٢ ص ٧٢١ .

(٤) صحيح مسلم ومعنى مزعة لحم قيل إنه يأتى ذليلاً وقيل يحشر بعظم وجهه دون لحمه جـ ٢ ص ٧٢٠.

الطاقات البشرية فيه إلى ما فيه الخير للمجتمع ولاسيما إذا كان ذلك النظام نظاماً أخلاقياً خيراً .

هذا إلى أن خضوع الأفراد طواعية لهذا النظام ورغبة فيه يؤدى أولا إلى تطبيقهم له فى السر والعلن لا خوفا من السلطة ولا نفاقا للمجتمع . وإنما حبا فى هذا النظام ، وهذا بدوره يزيد من طاقة الأفراد فى تطبيق النظام ونشاطهم فى العمل ، وأخيراً يؤدى هذا الأمر إلى شعورهم عند العمل بالسرور والبهجة ؛ لأنهم يخضعون لنظام يؤمنون به ويحبونهوينالون أجراً من الله لإطاعتهم لنظامه .

ويرى دوركايم أن فى الأخلاق صفتين تدفعان إلى الخضوع لنظامه ، وهما صفة الواجب والأخرى صفة الخير ، فالأولى تضفى على الأخلاق السلطة الآمرية والثانية الجاذبية يقول دوركايم : « فالواجب هو الأخلاق من حيث هى آمرة وهو الأخلاق بوصفها سلطة يتعين علينا إطاعتها لا لشىء إلا لأنها سلطة فحسب. أما الخير فهو الأخلاق باعتبارها شيئاً طيبا يجذب إليه الإرادة ويثير الرغبة نحوه تلقائيا »[(١)] ويرى أن روح الخضوع للنظام تتكون من عنصرين لهما أساس طبيعى فى الإنسان باعتبارهما من الميول الطبيعية وهذان العنصران هما حاسة للانتظام وحاسة أخرى للشعور بالسلطة الأخلاقية[(٢)] ودور التربية الأخلاقية تنمية هاتين الحاستين لتكون روح الخضوع للنظام سلطة فى نفس المرء، ولهذا يرى أن عمل المربى يتوقف أولا على معرفة الميول الأساسية للمزاج الأخلاقى للطفل[(٣)].

ويتكلم المربى الاجتماعى دور كايم أيضا عن أهمية النظام والانتظام باعتباره يضع حدا للميول المتطرفة ويحفظ الطاقة الإنسانية من أن تتبدد إذا أصبحت حرة منطلقة من غير قيد أو شرط فيقول : « عندما تتجاوز ميولنا كل حد وعندما لا يقف فى سبيلها أى شىء تصبح جبارة عاتية ويكون أول عبيدها هو الشخص نفسه

---

(١) التربية الأخلاقية دوركايم ص ٩٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٥ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٤ .

الذي يحسها، ومن هذا يمكن أن نتصور مبلغ سوء حال مثل هذا الشخص ، إذ تتعاقب عليه أشد الميول تعارضا وأعظم النزوات اختلافا مقتادة معها ذلك الحاكم المطلق المزعوم فى أشد الاتجاهات تباينا حيث ينتهى الأمر بتلك القدرة المهيمنة على كل شيء إلى أن تغدو عجزاً بالمعنى الصحيح » [1] ومن ثم ينتهى إلى أن الحرية لا تتعارض مع النظام ، بل النظام هو الحرية ؛ لأنه يمكن الإنسان من القيام بعمل يريده، أما الحرية غير المنظمة فإنها تنتهى بالإنسان إلى عدم القدرة على تحقيق أى شيء ، تنتهى به إلى العجز المطلق ؛ لأنه « ليس مسيطرا على ذاته فسيطرة المرء على ذاته هى إذن الشرط الأول لكل قدرة حقيقية ولكل حرية جديرة بهذا الاسم»[2] ولا يمكن الانتظام إلا بالتحكم على الذات أولا ، إذا كان الأمر كذلك يجب تكوين استعداد أولا للتحكم فى الذات ، فمن ملك هذا الاستعداد أصبح قويا منظما لسلوكه ويستطيع الانتظام بعد ذلك. وتكوين ذلك الاستعداد يتم عن طريق تدريب الإرادة وسنتكلم عنه فى وسائل تقوية الإرادة . ثم يتكلم دوركايم عن دور الأخلاق في التحكم فى الذات . ثم تمكين الإنسان من الحرية الحقيقية فيقول: «إن الحرية هي ثمرة التنظيم ، فنحن لا نكتسب القدرة على التحكم فى ذاتنا وتنظيم أنفسنا وهى لب الحرية إلا تحت تأثير القواعد الأخلاقية وبعد ممارستها، وتلك القواعد ذاتها هى التى تحمينا بفضل ما لها من سلطة وقوة، من القوى غير الأخلاقية أو المتنافرة مع الأخلاق التي تهاجمنا من كل جانب ، فبدلا من أن يتعارض مع النظام والحرية ، كما لو كان حدين متنافرين نرى أن الحرية لا تكون ممكنة بدون النظام ، ولهذا لا يستأهل النظام أن نطيعه فى خضوع مستسلم فحسب وإنما يستحق منا ذلك أن نحبه » [3] ويصور فى مكان آخر مدى أهمية الأخلاق فى التحكم فى الذات والوقوف أمام الرغبات الطاغية فيقول : « والواقع أن مجموعة القواعد الأخلاقية تكون حول كل إنسان نوعا من الحاجز الفكرى

(١) المرجع السابق ص ٤٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٥ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٤ .

تتبدد علـى صخرته جميع الرغبات الإنـسانية دون أن تستطيع تـعديه ، وأن مجرد كون هذه الرغبات مـحصورة متحددة ليجـعل أرضاءها أمرا ممكنا ، فـإذا ما تصدع ذلك الحاجـز فى نقطـة معينـة فإن القوى الإنسـانية التـى ظلت حتـى ذلك الحين محصورة حـبيسة تنطـلق من الثغرة ثائـرة فائرة، ولكنهـا لا تلبث أن تنطـلق حتى يصبح من المسـتحيل وقفها عند حد ولا يـعود فى وسعها إلا أن تستمر فـى سعيها الأليم نـحو هدف يبـعد عنهـا على الدوام ، فـلو حدث مثـلا أن فقدت القـواعد الأخلاقية المتصلة بـالحياة الزوجية سلطتها ، أو ضعف احتـرام الزوجين للواجبات التى يلتزم بها كل منهما حيـال الآخر لأفلت زمام الاتصالات والشهوات التى يحد منها وينظمهـا ذلك القسم من الأخلاق ، ولا ضطرب تنظيمهـا وتمادت نتيجة لهذا الأضطراب ، وهى حـين تعجز عن أن تهدئ مـن عنفها ما دامـت قد تجاوزت كل حد ،تولد فى النفوس حالة من اليأس وخيبة الأمل تتبدى على صورة واضحة فى إحصائـيات الانتحـار وكذلك لو تزعـزعت أركان الأخلاق الـتي تحكم فـى الحياة الاقتصادية فإن المـطامع الاقتصادية لا تعرف حينئـذ حداً تقف عنده » [١] ؛ ولهذا يقول الدكتور الكسيس كارل أيضاً : « إن التنظيم يكسب الإنسان قوة فائقة » [٢] ؛ ولهذا لا ينبغى أن يضيق الإنسان من النـظام الأخلاقى لمجرد أنه يقيد حريته ويقف أمام كثير من رغباته الجامحة ؛ لأن ذلك أمر ضـرورى للحياة الناجحة بصفة عامة وللحياة الاجتماعـية بصفة خاصة ؛ ولهذا كله يجب تكـوين روح الخضوع للنظام فى الأطفال فى مختـلف المراحل التربوية ، إذا أردنا سيادة النـظام الأخلاقى حياة الأفراد والمجتـمع سيادة كـاملة ودقة الانـتظام من الـتحضر ومـن العوامل المـهمة المساعدة على التقدم كما أنه من عوامل تقدم الإنسان فى عمله ومهنته .

وإذا نظرنا إلى الإسلام لنعرف رأيه فى هذا الموضوع وجدناه عميقا فى العلاج،

---

(١) المرجع السابق ص ٤٣ .

(٢) الإنسان ذلك المجهول ص ٣٨٦ . دكتور الكسيس كارل .

ذلك أنه بدأ بتكوين تلك الروح فى نفس المرء من داخل نفسه أولاً ، وذلك بالتعود على ضبط النفس والتحكم فيها والسيطرة على مختلف نوازعها الطبيعية فى مختلف الأحوال والمواقف بانتظام يبدأ أولا بالانتظام أو الانضباط النفسى ، ويتكون ذلك عند المرء عن طريق تدريب الإرادة بممارسة أعمال الضبط فى ظروف الثورة والهيجان النفسى وبمقاومة الرغبات النفسية الشهوية . وقد جاء الإسلام بتعاليم لتكوين هذا الوعى وكان الرسول يدرب أصحابه على ذلك . فقال مثلا عن الغضب : « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب »[1] وشجع الله سبحانه على التحكم فى نوازع الشح والبخل عند الضيق والحاجة، وعلى نوازع الانتقام عند القوة والانتصار فقال « الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين »[2] ودعا إلى التغلب على هذه النزعة الانتقامية بالإحسان إلى من أساء إليه فقال « ادفع بالتى هى أحسن السيئة »[3] وقال تعالى عن كبح الشهوة « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى » [4] وذلك بأن يضع المرء نفسه موضع شخص آخر ويجعل الذات مراقباً عليه فإذا كانت نفسه منساقة إلى طريق الشهوة بأن يغير طريقه بعيدا عن ذلك الطريق بحيث يبعد نفسه عما يثيرها من المهيجات لذا قال تعالى : « ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيماً » [5] وهناك وسائل أخرى كثيرة تتحكم بها فى الذات فى مختلف المواقف ذكرتها فى الباب الأخير من كتابى التربية الأخلاقية الإسلامية وبعد أن بين الإسلام وسائل التحكم فى الذات والسيطرة على النفس التى هى أساس الانتظام رغب بالوسائل المختلفة

---

(١) هداية البارى إلى ترتيب أحاديث البخارى جـ٢ ص ١٠٧ . صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠١٤ كتاب البر والآداب .

(٢) سورة آل عمران ١٣٤ .

(٣) سورة المؤمنون ٩٦ .

(٤) سورة النازعات جـ ٤٠ ص ٤١ .

(٥) سورة النساء ٢٧ .

فى الخضوع للنظام ، والسير على الطريق المستقيم والدعاء إلى الله بالهداية إليه فقال « اهدنا الصراط المستقيم»والمسلم مأمور بقراءته فى كل ركعة من صلواته كما استخدم وسائل أخرى لترهيبه من الخارج على النظام وتعدى حدوده ، وذلك لكيلا يكون الخضوع رهبة باستمرار ، ولا لمجرد الاستمتاع بالخير ، بل يجب أن يكون ذلك عن شعور بإجلال وتقدير من ناحية ورغبة فى الخير ، ومنهم من يكون عكس ذلك. ولما كان الإسلام الدين العام للناس جميعا كان لابد من أن يأتى بأدوية مختلفة لعلاج المشكلات والأمراض المختلفة ؛ ولهذا كله فقد استخدم الترهيب وحدد لمن لا يطيع إلا بالترهيب والسلطة فقال تعالى « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » [١] « بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »[٢] « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون »[٣] وبالترغيب بالخير والثواب لمن يخضع للخير فقال تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » [٤] وببيان أن السلوك الأخلاقى خير وقيم فى ذاته «ولباس التقوى ذلك خير » [٥] ثم إن الخير ذاته عامل جذاب كما أن الترهيب عامل دافع ، وقد استخدم الله عاملين معا ، وأحيانا استخدم الترغيب والترهيب معا فقال تعالى : «تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم»، « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » [٦] ؛وذلك لأن اجتماع عامل

(١) سورة المائدة ٣٣ .
(٢) سورة البقرة ٨١ .
(٣) سورة الأنعام ٥١ .
(٤) سورة النحل ٩٧ .
(٥) سورة الأعراف ٢٦ .
(٦) سورة النساء ١٣ - ١٤ .

الدفع وعامل الجذب يعد من أقوى عوامل الالتزام بالمبادىء لأن الإسلام قد طالب بالالتزام المستمر بالمبادئ الأخلاقية فى كل المواقف وتحمل الصعوبات والمشقات فى سبيل ذلك فقال تعالى « يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور »[1] « يأ يها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى»[2] ؛ ولأن الحكمة تقتضى الموازنة بين قوة الدفع وبين المدفوع إليه. أو بين الدوافع لتحمل المسئوليات وحجم المسئوليات ، وهذه الحكمة هى التى نجدها فيما قرره الإسلام من دوافع وجوانب ليجعل الناس يلتزمون بالمسئوليات التى ألقاها على عاتقهم فى مختلف الظروف والأحوال ، وأن يجدوا تلك الدوافع والعوامل الجذابة دائماً ماثلة أمام أعينهم .

٥- تكوين روح التعلق بالمجتمع

وعلاقة هذا بالأخلاق . أن السلوكيات الاجتماعية تابعة للأخلاق فى الإسلام ثم إن تكوين هذه الروح ضرورى للفرد ليستطيع الحياة الإجتماعية كما أنه لابد منه أيضاً لدوام المجتمع أو لدوام الحياة الاجتماعية . وبناء مجتمع متماسك من أهداف التربية الأخلاقية الاجتماعية .

أما ضرورته لحياة الفرد فى المجتمع فهى أن أي فرد لا يمكن أن ينجح فى حياته فى المجتمع إذا عمل لمصلحته الخاصة باستمرار دون مراعاة شعور الآخرين وحقوقهم الطبيعية ، ولا يمكن أن تنجح حياته أيضاً إذا عاش حياة منعزلة فإن حياة العزلة إذا استمرت لا ينجو الفرد من عواقبها الأليمة بما يصاب به فى النهاية من أمراض نفسيه ، كما أنه ضار تربوياً بحياة الطفل إذا أبعد عن المجتمع ؛ ولهذا نجد الإمام الغزالى يتكلم كثيراً عن فوائد المخالطة من الناحية الصحية والاجتماعية والتربوية فيقول : « ولا خير فى عزلة من لم تحنكه التجارب ، فالصبى إذا

---

(١) سورة لقمان ١٧ .

(٢) سورة المائدة ٨ .

اعتزل بقى غمرا جاهلا . . » . ومن أهم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يقدر عليه فى الخلوة فإن كل مجرب فى الخلاء يسر ، وكل غضوب أو حقود أو حسود إذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات فى أنفسها يجب إماطتها وقهرها ولا يكفى تسكينها بالتباعد عما يحركها. فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث مثال دمل ممتلئ بالصديد والمدة . وقد لا يحس صاحبه بألمه ما لم يتحرك أو يمسه غيره فإن لم يكن له يد تمسه أو عين تبصر صورته ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل فى نفسه واعتقد فقده ، ولكنه لو حركه محرك أو أصابه مشرط حجام لانفجر منه الصديد وفار فوران الشئ المختنق إذا حبس عن استرسال ، فكذلك القلب المشحون بالحقد والبخل والحسد والغضب وسائر الأخلاق الذميمة إنما تنفجر مه خبائثه إذا حرك»[1] .

لكن الغزالى يتكلم أيضاً عن فوائد العزلة وخاصة أيام الفتن [2] إلا أنه مع ذلك يرى ضرورة المخالطة أولا للتربية الأخلاقية ؛ ولهذا يقول عندما يتكلم عن فائدة المخالطة « الفائدة الثالثة التأديب والتأدب ونعنى به الارتباص بمقاسات الناس والمجاهدة فى تحمل أذاهم كسراً للنفوس وقهرا للشوات وهى من الفوائد التى تستفاد بالمخالطة وهى أفضل من العزلة في حق من لم تهذب أخلاقه » [3] ، ثم لم يكن الغزالى هو وحده الذى تكلم عن مضار العزلة ، بل هناك علماء النفس الذين هاجموا العزلة وتكلموا عن مضارها ، فهذا سيجمند فرويد العالم النفسى الشهير الذى يقرر ما يقرره علماء النفس الآخرون فيقول « إن الأشخاص الذين ينعزلون عن الناس ويعيشون وحيدين بعيدين عنهم يعانون كثيرا من التعاسة والهموم والحرمان » ، كما أن علماء النفس أنفسهم يقولون : « إن هذه الظاهرة

---

(١) إحياء علوم الدين جـ ٢ ص ٢٤١ .

(٢) إحياء علوم الدين جـ ٢ ص ٢٢٦ .

(٣) المرجع السابق جـ ٢ ص ٢٣٨ .

ذات نتائج سيئة على صاحبها فعليه أن يتلافاها بقدر الإمكان » وهو فى تحليله لكثير من الأمراض النفسيه وشذوذها أرجعها إلى العزلة » [١]. ومن ثم نتيجة لهذا وذلك ، ينصح بأن يكون المرء اجتماعيا يكسب محبة الناس ويرضيهم ويرضى عنه الناس فيعيش فى مودة ومحبة [٢] وهناك أيضاً علماء آخرون غير الغزالى وفرويد ، فهذا «هورنى» يرجع أحد أسباب القلق فى الحياة والعزلة أيضاً [٣] وهذا وليم مكدوجل الذى يرجع بدوره بعض العيوب الخلقية إلى العزلة ويرى أن المعاشرة والاجتماع وسيلة للقضاء على مثل هذه العيوب مثل القلق والانكماش وحالات نفسية مرضية [٤] . ويرى دوركايم أن انقطاع علاقة الفرد بالمجتمع وانقطاع تعلقة بجماعة أحد أسباب الانتحار كما بين مدى ضرورة تعلق الأفراد بالمجتمع لاستقرار حياة المجتمع، ومعلوم أن الاستقرار مما يساعد على نمو الإبداع والتقدم ، ومن ناحية ثالثة يرى ضرورة تكوين روح التعلق بالجماعة ليكتمل نمو الفرد فقال مثلا : « إن الفرد لا يكتمل وجوده ولا تتحقق طبيعته تماما إلا إذا تعلق بالمجتمع، ولقد ثبت لدينا أن طبيعتنا ذاتها التى تقتضى ضرورة حصر أنفسنا فى حدود معينة، وذلك عندما تبينا أنه حينما تختفى تلك الحدود وحينما لا تتوافر للقواعد الأخلاقية السلطة الكفيلة بأن تمكنها من تنظيم أفعالنا بالقدر المنشود، فعندئذ تنتاب المجتمع موجة من الأسى والاكتئاب تنعكس واضحة على صفحة الخط البيانى الذى توضحه نسبة الانتحار ، وكذلك نرى أنه حينما لا تكون للمجتمع القدرة الجاذبية للنفوس التى يجب أن تتوافر فيه عادة وحينما يتخلى المرء عن الغايات الجماعية ليظل يسعى وراء مصالحه الخاصة وحدها . فعندئذ تتكرر الظاهرة نفسها وترتفع نسبة الانتحار، فالمرء يزاد تعرضا لخطر الانتحار كلما انفصمت العرى التى تربطة بجماعة أيا كانت

---

(١) سيكولوجية الشذوذ النفسى فرويد .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٤ + ٢٤٩ + ٣١٤ .

(٣) الصحة النفسية طبعة ثانية . دكتور مصطفي فهمى ص ١٩١ .

(٤) الأخلاق والسلوك فى الحياة ص ٢١٠ وليم مكدوجل .

أى كلما أوغل فى الحياة الأنانية . ولذلك نرى الانتحار بين العزاب يكاد يبلغ ثلاثة أضعاف عدده بين المتزوجين وأنه بين الأزواج الذين لم ينجبوا أطفالا يبلغ ضعفه بين ذوى الأطفال ، بل إنه ليزداد فى نسبة عكسية مع عدد الأطفال » [١].

ولهذا كله فقد اهتم الإسلام بالتعلق بالمجتمع أو الجماعة اهتماما بالغا وبين علاقة الفرد به حتى شبه المجتمع بالجسم الواحد كما بينا . وبناء على ذلك دعا إلى التعلق بالجماعة والاهتمام بها والعمل لمصلحتها فمن حيث التعلق بالجماعة قال الرسول « عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ومن أراد بحبوحة الجنة فليلتزم بالجماعة » [٢] وقال « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه » [٣] فقالوا يا رسول الله « أرأيت إن كان علينا أمراء يمنعون حقنا ويسألون حقهم فقال اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم » [٤] إلا إذا أمروا بمعصية ثم قال الرسول « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » [٥] وقال أيضاً «المؤمن أَلفٌ مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس » [٦] وأخيراً وقال : « المسلم إذا كان مخالطا الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم » [٧] وبناء على هذا وذاك نجد معظم الفقهاء يرون ترجيح مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد دون إهدار الفرد حقه تماماً [٨] كما دعا إلى

---

(١) التربية الأخلاقية دور كايم ص٦٧.

(٢) التاج الجامع فى الأصول فى أحاديث الرسول جـ ٥ ص ٣٠٨ .

(٣) المرجع السابق جـ ٥ ص ٣٠٨ .

(٤) المرجع السابق جـ ٥ ص ٣٠٨ .

(٥) فتح البارى بشرح البخارى للعسقلانى جـ ١٦ ص ٢٤٠ .

(٦) كشف الخفاء ومزيل الإلباس جـ ٢ ص ٤٠٨ .

(٧) التاج جـ ٥ ص ٥١ .

(٨) حاشية ابن عابدين على الدر المختار وما بعدها . المطبعة الأميرية . القاهرة جـ ٥ ص ٤٠٨ .

أن يهتم كل فرد بسلامة المجتمع ووحدته من التفكك والانهيار وذلك بعدم إثارة التفرقة والفتن وإنشاء مذاهب ضارة وطرق مختلفة فقال تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيانات وأولئك لهم عذاب عظيم » (١) « ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون » (٢) « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً » (٣) ؛ ولذلك أمر بالاعتصام بالمثل العليا الدينية والأخلاقية والاجتماعية فقال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » (٤) . بعد ذلك دعا إلى إصلاح ذات البين بين الناس المتخاصمين لرأب الصدع فى البناء الاجتماعى ، لأن مثل هذه التصدعات إذا لم يصلح فى حينه يؤدى فى النهاية إلى انهيار البناء الاجتماعى ؛ ولهذا قال تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين »(٥) «فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » (٦) .

أما فيما يتعلق بالسعى لخير الجماعة والتضحية من أجلها وإيثار مصلحتها فقد وردت نصوص كثيرة منها قوله تعالى : « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (٧) بل

---

(١) سورة آل عمران ١٠٥ .

(٢) سورة الروم ٣١ - ٣٢ .

(٣) سورة النساء ١١٥ .

(٤) سورة آل عمران ١٠٣ .

(٥) سورة الحجرات ٩ .

(٦) سورة الأنفال ١ .

(٧) سورة الحشر ٩ .

أكثر من هذا دعا إلى التسابق فى عمـل الخيرات فقال تعالى «فاستبقوا الخيرات»[1] والتنافس فيها «وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » [2] .

وإذا نظرنا إلى تلك الأمـور الدقيقة التى أراد الإسلام بها تكويـن الفرد جماعيا وتكوين الروح الاجتماعية فيه نجد أن نـظرة الإسلام أعمق من أولئك الاجتماعيين الذين أخذوا شهرة فى هذا الصدد ، مع أنهم لم يعالجوا مثل هذه الموضوعات من جميع النـواحى الهامة، أما الإسلام فمكـانت نظرته أكثر دقة وأوسع نـطاقا وأكثر متانـة فى ربط الفـرد بالمجتمع ودفـعه إلى العـمل من أجله وإيـثار مصالحـه على مصلحـته الخاصة . خاصة إذا نظـرنا إلى بنائه ذلك كلـه على العقيدة المـتينة ؛ لا على مجرد مواضعات اجـتماعية ومنافع حسية . وينبغى أن نضـيف هنا أمرا مهما وهو أن الاجتماع فى ميدان التربية الأخلاقيـة يجب أن يكون مع الصحبة الصالحة لأن الصحبة الصـالحة لها تأثير فى إصلاح الفـرد كما أن الصحبة الطالحة لـها تأثير كبير فـى إفساد أخلاق المرء وفساد أخلاق المـرء ضياع للفرد وكمـا أن فساد أخلاق الأمة ضياع للأمة ولحضارتها .

٦- تكوين شخصية قوية متحدة الذات

وهذا التكوين مهم أيضاً فى بناء الفرد والمجتمع القوى المتماسك المتحد ؛ ذلك أن المجتمـع يكون كما يكـون أفراده ، فإذا كان الأفراد أقويـاء الشخصية مـتحدى الذوات تكون شخصية المجتمع كذلك . ولكن كيف يمكن تحقيق ذلك فى الأفراد؟ إن ذلك يمكـن بتحقيق ثـلاثة عناصر فـى أفراد المجتمع هـذه العناصر هى تـوحيد الذات عن طريق توحيد ميولها ثم توحيد الهدف وأخيرا توحيد الطريق.

وأهمية تكوين الـذات المتحدة تظهر بصفة خاصة فى حـالات التزعزع الداخلي الذى يجعل الشخـص يتخبط خبط عشواء فى الطريق ، فـإذا اتجه إلى اليمين مرة واتجه أخرى إلـى اليسار وثـالثة إلى الـوراء ورابعة إلى الإمـام ومن ثم يعـيش فى صراع دائم بين ميوله واتجاهاته المتعارضه .

---

(١) سورة البقرة ١٤٨ .
(٢) سورة المطففين ٢٦ .

ولهذا نجد المتصوفين يهتمون اهتماما كبيرا بتوحيد الذات عن طريق توحيد تلك الميول وخلق الانسجام والاتساق بين تلك القوى والميول المتصارعة . وذلك عن طريق جمع الهمم بالصلاة والتقديس واللجوء إلى الله وحده [١] .

ولهذا كله بين الإسلام أن فى طريقه تتحد ذات المسالك واتجاهه وطريقه فى الحياة ؛ ولهذا قال تعالى : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » [٢] ؛ لأن الإسلام كما وحد المعبود وحد الطريق أيضاً إلى الحياة وهذا من أهم وسائل توحيد الذات ، وبين الله تعالى كيف أن من لم يؤمن بإله واحد ويعبد آلهة ويسير فى اتجاهات مختلفة تتوزع ذاته هنا وهناك ومن ثم يعيش فى توزع وتشتت كمن يكون عبدا لأسياد مختلفة الميول والاتجاهات فقال تعالى فى تصوير هذه الحالة : « ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون » [٣] ومن ثم ليوحد وجهته دعا الإسلام الإنسان إلى أن يتجه إلى الله وأن يسلم وجهه إليه « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » [٤] ولكيلا يضل الطريق إطلاقا دعاه الإسلام إلى الاستمساك بحبل الله فقال الله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا»[٥] وحبل الله هو تلك المباىئ الأخلاقية التى تربط الإنسان بالله وبالطريق المستقيم الذى رسمه الله لعباده فى هذه الحياة ويذكرنا ذلك بقول أفلاطون «فالشهوات التى نحسها هى كأنها حبال أو خيوط يجذبنا كل إلى ناحيته وبتعاكس حركاتها تجذبنا إلى أعمال مضادة وهذا ما يقرر الفرق بين الرذيلة والفضيلة ولكن الحس السليم يدل على أن واجبنا ألا نطاوع إلا أحد هذه الخيوط ونتبع اتجاهه ونقاوم شديدا كل

---

(١) التصوف طريقة وتجربة ومذهباً للأستاذ الدكتور محمد كمال جعفر ص ٩٧ - ٩٨

(٢) سورة الأنعام ١٥٣ .

(٣) سورة الزمر ٢٩ .

(٤) سورة لقمان ٢٢ .

(٥) سورة آل عمران ١٠٣ .

ما عداه من الخيوط الأخـرى ؛ ذلك هو الخيط الذهبى المقدس خـيط العقل الذي هو القانون العام للممالك وللأشـخاص . . . ، لأن العقل المستقيم إنما هو صوت الله يخاطب به أنفسنا . . فإن إكرامها الحـقيقى (أى إكرام الإنسان نفسه) ينحصر في الدأب على تنميـة الفضيلة فيها وحمايتها . . بل يـلزم أن يقال إن كل ما على سطح الأرض وما فى باطنها من ذهب لا يستحق أن يوازن بالفضيلة. وإن المرء إن لـم يقصر تشبثـه على الخير وحده بكل قواه كان موردا نفسه ذلـك الكائن القدسى موارد العار والاحتقار » [١] .

ثم إن الإسلام وجه المسلمين إلى أن يأخذوا مبـادئهم للحياة مما جاء به الإسلام وأن يتجهوا جميـعا إلى وجهته بدلا من أن يتجهوا إلى فلـسفات الغرب أو الشرق ويستمدوا منها مبادىء لتنظيم حياتـهم ؛ إذ ليس فى ذلك خير لهم فقال تعالى هنا وكأنه يخاطبنا اليوم « ليس البر أن تولـوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليـوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتـى المال على حبه ذوى القربى واليتامـى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفـى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفـون بعهدهم إذا عاهدوا والصـابرين فى البأساء والضـراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » [٢] .

إذن فإن الإسلام يكون بذلك شخصية متحدة الذات عن طريق توحيد إيمانه بإله واحد وتوحيد وجهته وتوحيد طريقه وتوحيد ميوله . وتكوين مثل هذه الشخصية مهم أدرك ضرورتها علماء النفس والتربية لوقاية الإنسان من الأمراض النفسية التى تنشـأ نتيجة الـصراع الداخلى بـين الميول والاتجاهـات المختلفة . وضـرورى أيضاً لتحقيق الـطمأنينة والسعادة النفـسيه ، ومن ثم يرون أن السعادة متوقـفة على بناء شـخصـية مـتكـاملـة عـن طريـق توحـيد مـيولـه وإقـامة الانـسجـام بيـنهـا [٣]

---

(١) مقدمة علم الأخلاق لأرسطو جـ ١ ص ٣٣ .

(٢) سورة البقرة ١٧٧ .

(٣) أسس الصحة النفسية دكتور عبد العزيز القوصى ص ١٣٣ .

فقالوا إن السعادة مرتبطة بتكامل الشخصية والتوافق التام بين نزعات الشخص وعواطفه واتجاهاته ووجود هذ الوحدة يضمن القضاء على القلق والصراع والخوف ويضمن توجيه الطاقة البشرية [1] وقالوا أيضاً : « إنه لازدياد سعادة الشخص لا يجوز أن نزيد فقط مجموع لذاته وإنما يجب أن نعمل أيضاً على تحسين شخصيته وتقويتها وانسجام عناصرها وتوحيد وجهتها » [2] ولهذا كله ارتأى بعض علماء التربية أن الغرض من التربية الأخلاقية هو تكوين شخصيات قوية متماسكة»[3] .

ومن هذا كله نستطيع أن نفهم الألفاظ الموجودة فى قوله تعالى عند دعوته الإنسان إلى التوحيد : توحيد الذات عن طريق توحيد الله أو الإيمان بوحدانيته الذى يؤدى إلى توحيد الاتجاه ومن ثم إلى توحيد الذات فقال تعالى فى هذا الصدد «ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون » [4] .

٧- تكوين روح الشخصية الحضارية :

ويتم ذلك بالأمور الآتية :

أ - بناء روح التضحية من أجل تقدم الأمة .

ب - بناء روح الإيثار والتخلى عن الأنانية الفرديه لأنها من آفات الأمم والحضارات .

---

(١) علم النفس أسسه وتطبيقاته التربية دكتور عبد العزيز القوصى ص ٢٩٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٠٠ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٠٠ .

(٤) سورة الزمر ٢٩ .

وعلمت هنا من خلال البحث عن أسرار تقدم اليابان أن الطاقات العقلية وغيرها موجهة هناك لدى الأفراد والجماعات لتقدم المجتمع وتفوقه، بينما تلك الطاقات الأساسية موجهة عندنا إلى المصالح الشخصية الأنانية، إذ معظم أن الناس يريدون تحقيق المصلحة الشخصية، ولوعلى حساب الآخرين .

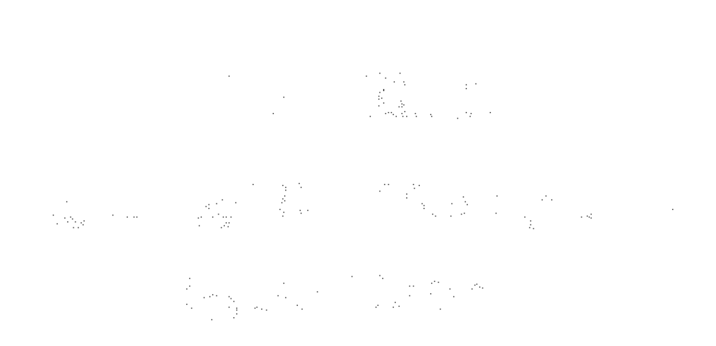
جـ - تكوين الثقة لدى كل أفراد المجتمع بإمكان إسهام كل فرد فى تقدم بلاده من خلال إحراز التقدم ، كل فى ميدان عمله ومهنته لأن تقدم الأفراد فى مجالات أعمالهم ومهنهم تقدم يعد تقدماً للأمة في تلك المجالات فيها .

د - تعريف كل فرد كيف يستطيع الإسهام فى تقدم عجلة الحضارة من خلال إحراز التقدم المستمر فى مجال عمله ومهنته.

هـ - تكوين قناعة تامة بأهمية جهود الأفراد وتعاونهم فى الإسهام فى تقدم الحضارة. مع كل الجهات المعنية.

الفصل الثالث

دور التربية الأخلاقية الإسلامية
فى بناء المجتمع



بناء على فكرة أن المقارنة تظهر قيمة الفكرة أكثر من غير المقارنة نسير هنا أيضاً على نهج المقارنة .

أولا : رأى المفكرين والمربين فى الموضوع .

إذا بحثنا هنا عن أهمية التربية الأخلاقية وجدناها تقوم بثلاث مهام كبيرة .

فالمهمة الأولى : إقامة مجتمع قوى البنيان مترابط الأطراف مستقر هادىء تسود بين أفراده المودة والرحمة والعدالة . ثم لا يكون بينهم صراعات وتناقضات ويمكن أن نعبر عن هذا المجتمع الذى تبنيه التربية الأخلاقية بأنه مجتمع خير ، وذلك عن طريق تكوين أفراد أخيار ؛ لأنه عندما يسعي كل فرد لتحقيق الخير لغيره كما يسعى لنفسه ويحب غيره كما يحب نفسه ويكف شره عن غيره كما يكف شره عن نفسه فإن المجتمع عندئذ يتحول لا محالة إلى مجتمع خير ولكن لا يمكن تحقيق ذلك إلا بالتربية الأخلاقية السليمة . أما إذا أهملت التربية الأخلاقية فيتحول المجتمع عندئذ إلى مجتمع فاسد . مجتمع الأشرار الذى لا أمان فيه ولا اطمئنان على النفس والمال والعرض وكل يسعى إلى مصلحته الخاصة ولو كان على مصلحة الآخرين أو مصلحة الأمة برمتها ومن ثم يزول كل التعاطف الإنسانى من التعاون والمحبة والمودة والرحمة ، ثم تكون عاقبته الخراب والخسران والهلاك . يتكلم هنا الدكتور غوستاف لوبون مشيرا إلى أهمية التربية الأخلاقية فى بناء الأمة وبناء المجتمع وكيف يؤدى إهمال هذه التربية إلى انحلال هذا البناء يقول : « تعليم الأخلاق من مسائل التربية الأساسية ، ومستوى الأمة الخلقى هو الذى يعين مكانها فى سلم الحضارة كما يعين قوتها فإذا ما انحلت أخلاقها انحلت عرا بنائها الاجتماعى » (١) .

المهمة الثانية : إقامة مجتمع متقدم إن المجتمع الذى تبنيه التربية الأخلاقية ليس مجتمعا أخلاقيا فحسب ، بل مجتمعاً تقدميا أيضا ، فيتكلم مثلا جون ديوى المربى الأميريكى المشهور عن دور التربية الأخلاقية فى بناء مجتمع متقدم

---

(١) روح التربية دكتور غوستاف لوبون . ترجمة عادل زعيتر ص ٣٣٧.

ويقول: « إن الاهتمام بإدراك كل ما ينهض بالنظام الاجتماعى وبالتقدم وبكل ما يساعد على وضع هذه المبادىء موضع التنفيذ - إنما هو العادة الأخلاقية القصوى التى يجب علينا أن نرد إليها جميع العادات الأخلاقية المدرسية ، إذا كان لابد لها من أن تزود بنفحة من الحياة الأخلاقية » [١] كما يبين أن إهمال التربية الأخلاقية يؤخر المجتمع ويقوض أركانه ومن هنا يبين أن التربية الأخلاقية أكثر أهمية من التربية العقلية فيقول « إذا كان النقص الأخلاقى لا يساوى النقص العقلى جسامة وخطورة ، فالطفل يولد ولديه الرغبة الطبيعية فى أن ينتج وأن يعمل ، أو بمعنى آخر إنه ولد مطبوعا على أن يقدم لنا خدماته وعندما يهمل استخدام هذا الميل وعندما تصبح الظروف وقد تهيأت لتحل محله هناك دوافع أخرى فإن رد الفعل ضد الروح الاجتماعية يصبح أقوى مما نتصور »[٢] ولهذا كله فقد أكد المؤتمر الإنجليزى للتحقيق الدولى فى التربية الأدبية الذى عقد فى إنجلترا عام ١٩٠٧ والذي اشترك فيه أكثر من سبعمائة من مشاهير كبار رجال العلم والأدب والفلسفة والسياسة وبعد أن درسوا التقارير المقدمة من الدول المختلفة أكدوا أهمية التربية الأخلاقية فى حياة الأمة وضرورتها فيها » [٣] .

المهمة الثالثة : إقامة مجتمع سعيد

إن هناك دوراً آخر للتربية الأخلاقية أهم من السابق

وهو بناء مجتمع سعيد ، فإنه مما لا شك فيه أن المجتمع لا يمكن أن يسعد إلا إذا كان خيراً لأن السعادة تأتى إلى المجتمع نتيجة سيادة الخير فيه وزوال الشر عنه، ولا يستطيع أن يقوم بهذا الدور غير التربية الأخلاقية لجميع أفراد المجتمع حتى يصبحوا كلهم أخياراً . ويلقى المربى المشهور بستالوتزى مهمة هذا الدور على عاتق التربية الأخلاقية فى المنزل لأنها الأساس العام فيقول هنا « إنى وجدت

---

(١) المبادىء الأخلاقية فى التربية جون ديوى ص ٣٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٤ .

(٣) التربية الأخلاقية أبادير حكيم ص ٢٠٣ - ٢٠٩ .

التربية المنزلية هى الأساس القوى الذى يصح أن يعتمد عليه فى إسعاد الشعوب فإن لها من الأثر فى قلوب الأطفال ما ليس لغيرها من أنواع التربية وناهيك بتربية سداها ولحمتها الإخلاص والثقة والحب الصحيح المتبادل بين الطفل وأبويه»[١] وقال مارتن لوثر « ليست سعادة البلاد بوفرة إيرادها ولا بقوة حصونها ولا بجمال مبانيها وإنما سعادتها بعدد المهذبين من أبنائها وبعدد الرجال ذوى التربية والأخلاق فيها»[٢] وإنى بدورى عندما عشت في مجتمع ملىئ بصراعات اجتماعية قاتلة قد ضاع فيها الأمن من كل جانب قلت لو بنينا بيوتنا من الذهب والفضة مالم نأمن على أنفسنا وأموالنا وأعراضنا فلا خير فى هذه الحياة . إن التقدم المادى بدون تقدم اخلاقى يوازيه لن يجلب للناس السعادة بل قد يجلب التعاسة والدمار والهلاك . والتخلف الأخلاقى قد يجعل الحياة جحيماً لا يطاق .

تلك هى بإيجاز شديد جولة حول آراء المفكرين والمربين ولدور التربية الأخلاقية فى بناء مجتمع متقدم بصفة عامة وللنظر الآن إلى وجهة نظر الإسلام .

ثانياً :دور التربية الأخلاقية الإسلامية فى بناء المجتمع

فإن أهم خاصية يمتاز بها المجتمع الذى يريد الإسلام بناءه هو خير مجتمع أو خير أمة – على حد تعبير الإسلام بحيث تظهر بين المجتمعات والأمم وتصبح خير مجتمع مثالى وخير أمة مثالية وتكون قدوة خيرة ولهذا قال تعالى : «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »[٣] .

لكن ما أهم خصائص المجتمع وما دور التربية الأخلاقية فى بنائه على ذلك النحو الخير . إن خصائص هذا المجتمع الخير الذى أراد الإسلام بناءه عن طريق التربية الأخلاقية هى نفس خصائص ذلك الفرد الخير الذى أراد الإسلام بناءه الأخلاقى والذى يتكون من أمثاله المجتمع كله . فالفرد يمثل المجتمع فى خصائصه كما أن المجتمع يمثل أفراده فى أخلاقهم .

---

(١) تاريخ التربية مصطفى أمين ص ٣٠٩ .

(٢) تقويم الأخلاق على فكرى ص ٣٩ .

(٣) سورة آل عمران ١١٠ .

إذن ما دامت نوعية هذا المجتمع الخير هى من نوعية الأفراد الخيرين الذين يشكلون المجتمع عن طريق تكوينهم فإننا نستطيع تحديد خواص هذا المجتمع من خلال خواص أفراده على أساس أن أخلاقيات الأفراد تنعكس على المجتمع تماما ولذلك فهى تعد هندسة بناء المجتمع وخواص أفراد المجتمع الإسلامى كما حددناها سابقا تتلخص فيما يلى :

١- أن هذا المجتمع تسوده روح الخير بحيث يسعى لخير الجميع ويأمر بالمعروف ويحارب الشرور والمنكرات « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون[١] .

٢- تسود هذا المجتمع روح الأخوة الإنسانية لا فرق ولا تفريق فى المعاملة ولا فى الحكم والقضاء بين غنى وفقير وبين أسود وأبيض وبين حاكم ومحكوم كلهم سواسية فى الإنسانية وفى العبودية لله الواحد الأحد. إنما الأفضلية الوحيدة لمن هو أتقى وأصلح من حيث التقدير والاحترام وذلك للتشجيع على التقوى والفضيلة عن طريق تربية اجتماعية أخلاقية غير مباشرة « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» [٢] « لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم » [٣].

٣- تسود هذا المجتمع الوحدة والقوة ، الوحدة فى داخل الأفراد بين ميولهم والوحدة بين الأفراد لأنهم يؤمنون بإله واحد ويتجهون إليه كلية ثم يسيرون فى اتجاه واحد وفى طريق واحد : « يأ يها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين

---

(١) سورة آل عمران ١٠٤ .

(٢) سورة الحجرات ١٣ .

(٣) سورة الحجرات ١١

قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً . وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » [١] .

٤- يسود هذا المجتمع السوعى الكامل بوحدته من حيث ترابط المصالح المادية والمعنوية والاجتماعية والإنسانية لدرجة أن كل فرد فيه ينظر إلى أنه عضو متصل بجسم المجتمع ، وأن المجتمع ينظر إلى كل أفراده على أنه عضو متصل بجسمه ومن ثم ينظر الفرد إلي أن حياته مرهونة بحياة الجماعة وأن المجتمع كالجسم الواحد أو كالرجل الواحد [٢] .

٥- تسود هذا المجتمع روح الخضوع للنظام ويسود أفراده روح التعلق بالمجتمع وإنما تسوده هذه الروح ؛ لأنه يؤمن بأن نظامه وقوانينه ليست قوانين وضعها أفراد لمجرد تحقيق مصلحة اجتماعية ، بل أكثر من هذا أن هذا النظام أخلاقى يجب احترامة والخضوع له ولأنه نظام إلهي يحقق للإنسانية إنسانيتها .

وتسود أيضاً كل فرد من أفراد هذا المجتمع روح التعلق بالجماعة وعدم القيام بأى عمل من شأنه أن يضر هذا المجتمع أيا كان لون هذا الضرر أو شكله ، وأن عليه ترجيح مصلحة المجتمع على مصلحته الخاصة ، ويضع نفسه أو ماله فى خدمته إن اقتضي الأمر أو الضرورة « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » [٣] « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً » [٤] .

---

(١) سورة آل عمران ١٠٢ - ١٠٣ .

(٢) انظر ص ٤٠ ، ٤١ من هذا الكتاب .

(٣) سورة الحشر ٩ .

(٤) سورة الإنسان ٨ - ٩ .

ولكن ما الوسيلة لبناء المجتمع على هذا النحو وليصل إلى هذه الدرجة ، إنه ليست هناك وسيلة لهذا إلا وسيلة واحدة فى نظرى وهى بناء كل فرد من أفراد المجتمع بالتربية الأخلاقية على النحو الذى بينته عند بناء الفرد ، لكن كيف نستطيع أن نبنى كل فرد فى المجتمع على هذا النحو ؟ فهذا يتعلق بوضع منهج خاص لتعليم التربية الأخلاقية فى المجتمع وقد وضعت لذلك منهجا فى الباب الأخير وخاصة في الخاتمة . في كتابى فلسفة التربية الأخلاقية الإسلامية .

٦- يسود هذا المجتمع الروح التقدمية فى المجالات المختلفة .

ذلك أن الروح الأخلاقية طاقة فعالة تدفع الناس إلى التسابق فى الأعمال الخيرة في المجالات المختلفة ، فعندما تستقر هذه الروح فى النفوس عن طريق التربية الأخلاقية السليمة تصبح طاقة فعالة تدفع كل إنسان لأن يبذل ما عنده من إمكانيات ليسبق الآخرين فى عمل الخيرات وذلك وفقا لقوله تعالى : «فاستبقوا الخيرات » [١] وقوله تعالي : « أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون»[٢] .

فالزراع مثلا يعمل عندئذ بكل جهده فى التنمية الزراعية لينتج أكثر ولينفق أكثر فيسبق غيره فى ذلك ، وصاحب المال يسرع إلى تنمية ماله عن طريق إقامة مشروعات ومصانع ليساعد بذلك على النهوض بمجتمعه وليقدم عونا للفقراء أو ليوجد عملا لهم . والمتعلم يكافح ليتعلم أكثر وليعلم أكثر . والعالم يعمل بإخلاص ليخترع مخترعات حديثة لتسهيل الصعوبات وليبتكر أفكارا جديدة لإيجاد حلول للمشكلات التى يعانى منها الناس . والصانع يعمل لإتقان صناعته وليتقدم فيها ليسبق الآخرين فى إيجاد الصناعة وإبداعها . والعامل يعمل بكل جهده لإحسان عمله وليؤدى أكبر خدمة ممكنة إلى وطنه ومجتمعه .

ثم إن كل فرد بموجب تلك الروح كما يسرع لتقديم الخيرات يسرع أيضاً لإزالة الشرور فى المجتمع وذلك بعد أن يكف شر نفسه عن غيره ومن ثم تزول فى النهاية الشرور والجرائم من المجتمع إذ الشرور والجرائم من العوامل العائقة عن

(١) سرة البقرة ١٤٨ .

(٢) سورة المؤمنون ٦١ .

التقـدم الاجتماعى ولـننظركم تـخسر الدولـة بسبب انتـشار الجرائم والمفـاسد فى المجتمع، سواء كانت تلك الخسارة المالية التى تسببها الاختلاسات الظاهرة والباطنة من الأموال الـعامة . والتى تسـتهلكه أيـضاً نفقات الـتقاضى والسجـون وما إلى ذلك.

وسواء كانت تـلك الخسارة التى تـترتب على الشـلل الوظيفى الـذى تصاب به الدوائر بسبب عدم أداء الـعمال والموظفين واجباتهم أو لعدم أدائهـم وظائفهم كما ينبغى ويجب. وهكذا لو تسابق أفراد المجتمع بموجب تلك الروح كما يتسابقون من أجل التفاخر وللمظاهر غير الأخلاقية لأدى الأمر عندئذ إلى التقدم الاجتماعى فى المجالات الشتى وتصبح التربية الأخلاقية عـندئذ عاملاً من العوامل الهامة فى بناء المجتمع السليم والمتقدم معاً.

الفصل الرابع

دور التربية الأخلاقية الإسلامية
فى بناء الحضارة



وإذا سرنا على نهج المقارنة نفسه الذى سرنا عليه فى الموضوعات السابقة ولتحقيق الهدف ذاته وجدنا ذلك الدور يظهر هنا أيضاً كما ظهر فى الموضوعات السابقة.

أولا: رأى المفكرين والمربيين فى الموضوع

إن أهمية التربية الأخلاقية فى بناء الحضارة تظهر فى خدمتين جليلتين تقوم بهما هذه التربية إزاء الحضارة: أولى تلك الخدمتين حفظها من الانهيار وثانيهما دفع عجلة التقدم نحو غاية خيِّرة.

أما فيما يتعلق بحفظ الحضارة فإنه يرجع أساساً إلى أن هذه التربية تزيل أولاً روح الشر من النفوس؛ لأن الشر عامل الهدم فى كل المجالات ، والميادين وأهم هذه الشرور الظلم والعدوان والتسلط على الناس ومحاولة استعبادهم لمآرب ذاتية واستغلالهم لتحقيق النفع للمصالح الشخصية؛ ولهذا يتكلم ابن خلدون عن دور هذه الشرور فى هدم العمران وخرابها فيقول: « اعلم أن العدوان على الناس فى أموالهم ذاهب بآمالهم فى تحصيلها واكتسابها، لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم، وإذا ذهبت آمالهم فى اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعى فى ذلك وعلى قدرالاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعى فى الاكتساب . . . لأن العمران ووفوره ونفاق أسواقه إنما هو بالأعمال وسعى الناس فى المصالح والمكاسب فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران وانتفضت الأحوال وانذعر الناس فى الآفاق . . . فخف ساكن القطر وخلت دياره وخربت أمصاره واختل حال الدولة والسلطان لما أنها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها ضرورة»[1] ، ثم يقول : «ومن أشد الظلمات وأعظمها فى فساد العمران تكليف الأعمال وتسخير الرعايا بغير

---

(١) مقدمة ابن خلدون انظر الفصل الثالث الأربعين ص ٢٤٠.

حق. . . . وأعظم من ذلك فى الظلم وإفساد العمران والدولة التسلط على أموال الناس»[1].

ويقول الإمام الماوردى عن أثر الجور فى العمران «ليس شيء أسرع فى خراب الأرض ولا أفسد فى ضمائر الخلق من الجور»[2].

ويتكلم الدكتور غوستاف لوبون عن أسباب سقوط الأمم وانحطاطها ويرجعها إلى الانحطاط الأخلاقى فيقول « ونحن إذا بحثنا فى الأسباب التى أدت بالتتابع إلى انهيار الأمم وجدنا أن العامل الأساسى فى سقوطها هو تغير مزاجها النفسى تغيراً نشأ عن انحطاط أخلاقها»[3].

ويقول صاحب قصة الحضارة ول ديورانت بعد أن يذكر عوامل بناء الحضارة ومن ضمنها العوامل الأخلاقية «لو انعدمت هذه العوامل بل ربما لو انعدمت واحدة منها لجاز للمدنية أن يتقوض أساسها»[4]. ثم يذكر بالنص مدى أثر الانحلال الأخلاقى والعقلى فى انحلال الحضارة وضياعها[5].

ويقول أفلاطون «إن الرذيلة هى أكبر شر يخافه الناس وإن الفضيلة هى أكبر خير يناله»[6].

وأخيراً هذا ما يقرره أيضاً المؤرخ المشهور إدوارد جيبون فى تحليله لأسباب سقوط الإمبراطورية الرومانية حيث إنه بدوره يرجع ذلك إلى الانغماس فى الرذيلة والترف وحياة الدعة والكسل والخيانة والغدر والتناحر من أجل السلطة وما إلى ذلك من الأسباب الأخلاقية الأخرى»[7].

---

(١) المرجع السابق ص٢٤٢.

(٢) أدب الدنيا والدين، الإمام الماوردى ص ١١٥ .

(٣)السنن النفسية لتطور الأمم د . جوستاف لوبون. ترجمة عادل زعيتر. ص ١٧٢

(٤) قصة الحضارة ول ديورانت ص ٧.

(٥) المرجع السابق ص٨.

(٦) مقدمة علم الأخلاق لأرسطو ص٣٥.

(٧) الامبراطورية الرومانية وسقوطها . أدوار جيبون. جـ ١ص ٢٣٠-٢٥٩.

ثم إننا إذا نظرنا إلى الحروب التى هى من أكبر مظاهر الانحراف الأخلاقى لدى الشعوب وما تتركه من دمار للمدنيات والحضارات لا نحتاج إلى مزيد من الأدلة والتقارير الأخرى من أن الشر أو الانحطاط الأخلاقى أضر شىء للحياة الإنسانية.

وأما فيما يتعلق بدور التربية الأخلاقية فى تقدم الحضارة والمدنية فإن هذه التربية عندما تكون روح الخير لدى الأفراد فإن هذه الروح تدفعهم إلى السعى لإقامة مشروعات مختلفة وابتكارات واختراعات جديدة؛ لترقية الإنسانية ولجلب أكبر قدر ممكن من النفع لأكبر قدر ممكن من الناس، فإن هذا السعى من جميع الأفراد بتلك الروح يؤدى لا محالة إلى ازدهار الحضارة والرفاهية. يقول أفلاطون هنا « إذا لم يشترك جميع الناس فى هذه الفضائل صارت عمارة المدائن أمراً محالاً»[1] . ويقول الأستاذ ولز :« لو بذل الإنسان فى السيطرة على جماح نفسه بعض ما يبذله من الجهد فى السيطرة على قوى الطبيعة لكان عالمنا اليوم عالم طهارة وسعادة»[2]. ومعلوم أن السيطرة على جماح النفس وتسخيرها فى خير الإنسانية إنما تكون بالتربية الأخلاقية ونقول تعليقاً على كلام الأستاذ «ولز» لو أن الناس بذلوا لتطهير نفوسهم من قذارة الشر كما يبذلون لتطهير المدن ومظهرهم لما رأينا هذه الشرور. علماً بأن القذارة الأخلاقية لا تقل إطلاقاً عن القذارة المادية من حيث ما يشمئز منه الإنسان ومن حيث ما يترتب عليه من الأضرار.

ويقول هنا الدكتور الكسيس كارل:« ليست القذارة الخلقية أقل تنفيراً من القذارة المادية، فيجب على كل شخص أن يغتسل خلقياً وجسمياً قبل أن يبدأ يوماً جديداً»[3]. وإضافة إلى هذا نقول ولو بذل الناس بعد تطهير نفوسهم وغرس أشجار الخير فيها لتحول عالم النفوس إلى سعادة وعالم الإنسان جنات لم يروها ولم يسمعوا عنها من قبل ولم تخطر ببالهم. وقد سئل وزير التعليم اليابانى إلى

---

(١) مقدمة علم الأخلاق لأرسطو ص٣٥

(٢)التربية وطرق التدريس جـ٢ ص٢٣١.

(٣) تأملات فى سلوك الإنسان ص١٤٤.

ماذا يرجع التقدم الذى أحرزته اليابان فقال إلى نظام تربيتنا الأخلاقية [1]. ولهذا كله يرى ألبرت اشفيتسرالفيلسوف الألمانى وجوب بناء الحضارة على أساس أخلاقى بالتربية الأخلاقية[2].

هذا إلى أن التربية الأخلاقية لا تكون وسيلة لدفع المجتمع إلى التقدم الحضارى الإنسانى فحسب، بل إنها إضافة إلى ذلك تحدد للناس الهدف من التقدم؛ لأن التقدم فى ظلام ومن غير هدف قد يضل، وقد يقع فى هاوية لا مخرج منها؛ ولهذا يلوم سير ريتشارد لفنجستون وكيل جامعة أكسفورد سابقاً الذين يدعون إلى التقدم دون تحديد هدف فيقول: « إنهم لم يعرفوا يوماً من الأيام ما هى الحياة الصالحة التى يجب أن يعيشها البشر، فإنه لا يكفى الناس أن يلقنوا المعارف الضرورية لأن يعيشوا فى حضارة شديدة الآلية، أو أن يعطوا القدرة على التفكير تفكيراً جليّاً بل يجب أن نقدم لهم أيضاً صورة واضحة للقالب الذى يجب أن يصوغوا فيه معيشتهم والحياة التى يجب أن ينتهجوها». كما يرى أن تقديم المعارف المختلفة من غير تحديد الغاية التى يجب التحرك نحوها يجعل الناس فى حيرة من أمرهم ومن ثم يسيرون فى ظلام حالك وتيه مضلل[3].

وإذا بحثنا عن ماهية الحضارة وعناصرها الأساسية وجدنا العنصر الأخلاقى بارزاً لدى معظم المفكرين عند تحديدهم حقيقة الحضارة وعناصرها وفيما يجب أن تكون عليه الحضارة الإنسانية القيمة.

حقاً لقد اختلف الباحثون فى تحديدهم للحضارة وذلك بسبب تركيز كل واحد منهم على جانب من جوانب الحضارة أكثر من الجوانب الأخرى فنجد أحدهم يقول عنها إنها «نوع من أنواع الحياة البشرية المتقدمة، عمادها بصفة أساسية معيشة الحضر، وما تتطلبه من تنظيم وما تسفر عنه من نتائج وتدابير، تتمثل فى الكتاب

(١) التربية الأخلاقية، أبادير حكيم ص ٢٤٦.

(٢) فلسفة الحضارة، ألبرت أشفيتسر. ص٥-٦.

(٣) التربية لعالم حائر، سير ريتشرد لفنجستون ص ٤٩.

والتشريع ونظم الحكم وأساليب التجارة والتدين، والحضارة على الأساس المتقدم لا يمكن تصورها إلا فى رحاب المدن»[1]. فهذا التحديد يحاول التركيز على الجانب المظهرى المادى للحضارة. ومنهم من يركز على الجانب الروحى ويقول «فالحضارة فى جوهرها تقوم على الكائن البشرى لا على الأشياء المادية، والناس متحضرون أو غير متحضرين وفقاً لبعض مزاياهم العقلية والروحية. وتدل كلمة الحضارة على جودة عقلية وروحية كما تدل كلمة صحة على جودة طبيعية أو جسدية»[2].

ومنهم من يركز على الجانب المادى والمعنوى معاً ويقول «الحضارة هى التقدم الروحى والمادى للأفراد والجماهير على حد سواء»[3]. ثم يركز على الجانب الأخلاقى أكثر ويقول: « ولما بحثت فى ماهية الحضارة وطبيعتها تبين لى فى ختام المطاف أن الحضارة فى جوهرها أخلاقية»[4]. ، ولعل هذا التصور بعد بحث طويل عن الحضارة وعما يجب أن تكون عليه الحضارة الإنسانية.

وأما فيما يتعلق بعناصر الحضارة الأساسية فيحددها صاحب التعريف السابق للحضارة وهو ألبرت أشفيتسر ويقول «يدخل فى مجال الحضارة ثلاثة أنواع من التقدم: التقدم فى المعرفة والسيطرة، والتقدم فى التنظيم الاجتماعى للإنسانية، والتقدم فى الروحية، والحضارات تتألف من مثل عليا أربعة: المثل الأعلى للفرد، والمثل الأعلى للتنظيم الأساسى والاجتماعى، والمثل الأعلى للتنظيم الاجتماعى والروحى والدينى، والمثل الأعلى للإنسانية بوصفها كُلاً»[5].

---

(١) الحضارة والتحضر د عبدالمنعم نور. ص٥-٦

(٢) الثقافة الإنسانية فى فلسفة التربية فى الشرق والغرب (مباحث دولية) ترجمة أنطون خورى ص٩٠ .

(٣) فلسفة الحضارة ألبرت أشفيتسر. ص ٣٤.

(٤) المرجع السابق ص٣.

(٥) فلسفة الحضارة، ألبرت أشفيتسر ص٤٠٦.

ويحدد «ول ديورانت» أربعة عناصر رئيسية للحضارة وهى العناصر الاقتصادية وتشمل الزراعة والتجارة والصناعة. والعناصر السياسية وتشمل الدولة والقانون والأسرة والعناصر الأخلاقية وتشمل الدين والأخلاقيات الاجتماعية والزوجية، وأخيراً العناصر العقلية، وشمل الآداب والعلم والفن[1]. وهذا التحديد هو أشمل بالنسبة لعناصر الحضارة، وإن كنا لا نرضى عنه، لأنه يدخل الدين كجزء من العناصر الأخلاقية. غير أن ذلك على حسب تصوره لدينه هو ولو علم حقائق الإسلام لما قال ذلك، على أى حال تلك هى وجهات نظر الغربيين فى تحديد الحضارة ومما يجب أن تكون عليه الحضارة المثلى التى لا يمكن أن تتحقق بدون العنصر الأخلاقى وذلك لا يمكن تحقيقه عملياً إلا بالتربية الأخلاقية.

تلك هى جولة حول آراء المفكرين عن الحضارة ودور الأخلاق والتربية الأخلاقية فيها ولننظر الآن وجهة نظر الإسلام فيها.

ثانياً :دور التربية الأخلاقية الإسلامية فى بناء الحضارة

وفقاً لوجهة نظرالإسلام فى بناء الفرد والمجتمع بناء أخلاقياً على النحو السابق ووفقاً لما نرى أن الناس يصبغون حضارتهم بالخصائص التى تربوا بها فردياً واجتماعياً فإن أهم خاصية للحضارة الإسلامية تكون حضارة إيمانية وعلمية وتشريعية وحضارة أخلاقية فى طابعها العام وفى خاصيتها الأساسية. وذلك بالمفهوم الأخلاقى الذى جاء به الإسلام وبالغاية الأخلاقية التى جاء الإسلام من أجل تحقيقها، كما ورد عن الرسول « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2].

وبذلك تتميز الحضارة الإسلامية عن الحضارات الشرقية والغربية اليوم لأنها تستلهم خصائصها من نبعة ليست شرقية ولا غربية وإنما من نور يوقد من شجرة إلهية لا مثيل لشجرتها فيما زرعته يد البشر فى الشرق والغرب حتى الآن.

---

(١) قصة الحضارة ول ديورانت. ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود جـ ١ ص١

(٢) مسند الإمام أحمد جـ٢ ص٣٨١.

وبالرغم من وجود عناصر حضارية فى التفكير الإسلامى الأصيل المستخلص من القرآن والسنة فإننا نسمع هنا وهناك كلاماً يقال لا يوجد فى الإسلام حضارة ولا توجد عناصرها الأساسية ؛ولهذا كان الإسلام هو السبب فى تأخير المسلمين وعدم إمكانهم القيام بالحضارة المتقدمة على غرار الحضارة الغربية مثلاً، حقاً إن المسلمين لم يقيموا الآن الحضارة الإسلامية العصرية المتكاملة كما هى فى التفكير الإسلامى على الصورة التى يجب أن تكون عليه. لكن ذلك نقص يرجع إلى المسلمين ولا يرجع ذلك إلى الإسلام، كما نجد ذلك فى بعض الفلسفات، فإن هناك بعض الفلاسفة وضعوا صورة معينة للحضارة المثالية لكن أنصارهم لم ينفذوا تلك الصورة كما ينبغى ويجب.

ولنبحث الآن عن حقيقة هذه الحضارة وعناصرها وخاصيتها المتميزة عن الحضارات الأخرى، ثم عن دور التربية الأخلاقية فى بناء هذه الحضارة.

مفهوم الحضارة الإسلامية:

يمكن أن نقول مبدئياً فى تحديد مفهوم هذه الحضارة فى نظر الإسلام بأنها تفوق المجتمع من الناحية المادية والمعنوية فى جميع مناحى الحياة الإنسانية بروح خيِّرة ونحو غاية خيِّرة فى ضوء القيم الإسلامية.

تتميز هذه الحضارة بعدة مميزات:

الميزة الأولى: هى الروح الخيرة أو الغاية الخيرة من التقدم، ذلك أن أى تقدم فى أى ناحية، لايدخل فى الحضارة الإسلامية مالم يتم بروح خيِّرة، ولو كان فى التقدم الروحى، فلو أن إنساناً يقضى ليلقه ونهاره فى عبادة متواصلة ولم يكن مخلصاً فى عبادته بأن كان فى ذلك مرائيا أو منافقاً فإنه لايعد متقدماً روحيا، بل لايعد عملا روحيا إطلاقاً. وكذلك لو أنه صنع أعقد الآلات وطاف بها الأفلاك لايعد هذا تقدماً فى نظر الحضارة الاخلاقية الإسلامية مالم يفعل ذلك التقدم والتحضر بروح خيرة إذ التقدم بغير هذه الروح يؤدى فى النهاية إلى انهيار الحضارة وتخرج عن الحضارة الإسلامية وتكون إما حضارة قومية أو عنصرية أو استعمارية.

والميزة الثانية استخدام الروح الخيِّرة فى دفع عجلة التقدم فى الميادين المختلفة، لأن القوة الروحية الخيِّرة طاقة جبارة فإذا دخلت فى النفوس ورسخت فيها تحولت إلى طاقة محركة تدفع عملية التقدم فى جميع مناحيها بسرعة، لكن لايمكن تكوين هذه الروح الخيِّرة فى النفوس إلا بالتربية الأخلاقية على النحو الذى حددناه عند تحديدها وتحديد هدفها، وإلا ببناء الأفراد والمجتمع بالتربية الأخلاقية على النحو الذى بينته عند الكلام عن بناء الفرد والمجتمع. ثم إنه إذا تكونت هذه الروح فى نفوس أفراد المجتمع تظهر مظاهرها فى الحضارة وتجعل الناس يشكلون الحضارة بصبغتها. ويوجهونها إلى حيث تتجه هذه الروح ومن ثم تكون هذه الروح، هى المتحكمة فى سير الحضارة وجميع مظاهرها. وعندئذ يصبح الأفراد الذين يحملون هذه الروح سادة الحضارة لا عبيدها ثم لايتحركون بعجلاتها دون أن يدروا أين تتحرك بهم تلك العجلات وأين تنتهى بهم تلك المسيرة، إنما تتحرك عجلات الحضارة، بناء على وجهة النظر الإسلامية فى وجوب سيادة الروح الأخلاقية فى بناء الحضارة وتقدمها، يجب ألا يكون التقدم من أجل التفاخر والتكبر، ولا من أجل العدوان والتسلط أو من أجل الانغماس فى الحياة المادية أو من أجل استغلال مجتمع متقدم مجتمعاً متأخراً أو ضعيفاً أو استعباده أو إبادته كما حصل فى الحضارة الشيوعية الغربية، والبوسنة والهرسك والشيشان من الأدلة على ذلك، وإنما يجب أن يكون من أجل رفع مستوى الإنسانية والتكامل الإنسانى. ثم من أجل تعميم الخير على البشرية، وبذلك تكون الحضارة أداة السعادة لا أداة الشقاوة كما آلت إليه الحضارة الغربية وكما يقرر ذلك مقيِّمو الحضارة الغربية من الغربيين[1]. ولهذا كله نجد الإسلام يشجع على التقدم الحضارى فى مختلف مناحيه فى ضوء تلك الروح الخيِّرة وبها.

ولننظر الآن نظرة تحليلية إلى أهم مظاهر الحضارة التى أراد الإسلام تكوينها ومدى تسرب تلك الروح الأخلاقية بها وصبغها بصبغتها ودفعها بدوافعها مدعماً ذلك بالنصوص الإسلامية حتى لانتهم بأننا نقرر بدون دليل.

---

(١) أ- فلسفة الحضارة، ألبرت أشفيتسر ص ٣٣

ب- التربية لعالم حائر، سير رتشرد لفنجستون ص ٤٩.

وأول مظهر أخلاقى يتمثل فى تلك الروح الخيِّرة التى تكونها التربية الأخلاقية فى أفراد المجتمع الذين تقوم على أكتافهم تلك الحضارة الإسلامية؛ إذ إن تلك الروح تدفعهم أول ما تدفعهم عندئذ إلى أن يكفوا شرهم عن غيرهم، ثم تدفعهم أيضاً إلى الإسراع إلى تحقيق الخيرات لغيرهم والتسابق فى ذلك: «أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون»[(١)]، وذلك وفقاً لقوله تعالى: «فاستبقوا الخيرات»[(٢)].

وهم يسارعون ويتسابقون ويتنافسون فى عمل الخيرات لا للتفاخر ولا للتناحر ولا للاستعلاء ولا للبغضاء، وإنما من أجل نيل رضوان الله والدخول فى السعادة الأبدية فى الجنة «وفى ذلك فليتنافس المتنافسون»[(٣)]؛ لأنهم «يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين»[(٤)]، لكن هذا التسابق والتنافس ليس فيهما شيء من الأنانية البغيضة، بل فيهما تعاون فى الخير «وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان»[(٥)] ،ثم تدفعهم تلك الروح أيضاً إلى دراسة وسائل تحقيق الخير وتعليمها الناس وإرشادهم إليها فقال الرسول: «إن الملائكة وأهل السماء والأرض، حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلِّم الناس الخير»[(٦)] كما قال «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»[(٧)] ،وقال أيضاً «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئاً»[(٨)] ، كما تدفعهم تلك الروح الخيِّرة إلى ابتكار طرق ووسائل تحقيق المشروعات الخيِّرة فقال الرسول: «من سن فى الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولاينقص من أجورهم شيء ومن سن فى الإسلام

(١) بسورة المؤمنون ٦١.
(٢) سورة البقرة ١٤٨.
(٣) سورة المطففين ٢٦.
(٤) سورة آل عمران ١١٤.
(٥) سورة المائدة ٢.
(٦) التاج جـ١ ص٦٤.
(٧) صحيح مسلم كتاب الإيمان جـ٣ ص١٥٠٦.
(٨) المرجع السابق جـ٤ ص٢٠٦٥.

سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عـليه مثل وزر من عمل بها ولاينقص من أوزارهم شيء»[1] وقال أيضا: «ما من رجل ينعش بلسانه حقًا فيعمل به بعده إلا جرى عليه أجره إلى يوم القيامة، ثم وفاه الله ثوابه يوم القيامة»[2].

بعـد ذلك نجد أثـر الروح الاخلاقـية فى أهـم مظهـر من مظـاهر الحضارة، وهو التقـدم العلمى، فإن هذه الـروح كما تدفـع عجلة الـتقدم العلمـى بصورة تغيب عن بـال معظم الدارسين فإنهـا توجهها أيضا وجـهة خيِّرة، وتدعو إلى استخدامـها فى الخير لا فى الشر فى خير الإنسانيـة عامة، والحقيقة أن هذا المـوضوع واسع وكبـير قد عالجـته فى بـحث مستـقل [3]. فقـد عالجت فـيه بالتفصيل غايةالتـعليم والتعلم. والتشجيع التعليمـى، والالتزام العلمى، وأساليب التربية والتعلـيم ، ثم طرق الوصول إلى الحقائق المختلفة وفـق المنهج الذى رسمه الإسلام للتقدم العلمى.

ولا أريد أن أتعرض لـكل هذه الجوانب هنا وإنما أريـد التعرض بإيجاز لنـقطتين إحداهما كيف تـكون الروح الأخلاقية دافعة عجلـة التقدم العلمي؟ والثانـية كيفية توجيه هذا التقـدم نحو غاية خيرة، وأجدنى مضطرا إلـى بيان ذلك، لأن الحضارة بدون علم ليـست حضارة لكن التقدم العـلمى إذا لم يكن خاضعاً لغـاية خيرة قد يجلب مفاسد وشروراً على الناس أكثر من الجهل، وإذا كان العلماء الأخيار يبنون الحضارة فإن الفاسديـن منهم يهدمونها، ولهذا قال أفلاطـون قديماً: «إن العلم مع سوء التربية أكثر شراً من الجهل من غير التربية» [4]. وقال الرسول: «شرار الناس شرار الـعلمـاء فى الـناس»[5]. وقـال أيضـا: «إنمـا أخـاف علـى أمـتـى الأئمـة المضلين[6]. ، لأن الجاهل الفاسد مـهما كان فاسداً فسيكون فسـاده محدوداً لجهله

---

(١) المرجع السابق كتاب العلم جـ٤ ص٢٠٥٩.

(٢) منتخب كنز العمال في هامش مسند الإمام أحمد جـ١ ص ٢٤٥.

(٣) توجيه المتعلم إلى منهاج التعلم فى ضوء التفكير التربوى والإسلامى، دار عالم الكتب. الرياض ١٤١٦هـ

(٤) الثقافة والتربية فى العصور القديمة دكتور وهيب سمعان ص ٢٢٩.

(٥) الجامع الصغير، الإمام السيوطى، جـ ٢ ص ٣٩

(٦) سنن الترمذى كتاب الفتن. جـ٣ ص٣٤٢

بطرق الإفساد. أما العالم الفاسد فإنه يستطيع أن يفسد المجتمع بأسره أو يضله بأسره، لذلك وجه الإسلام أولاً حركة التعليم والتعلم نحو غاية أخلاقية خيرة وأمر بالتربية قبل التعليم، وهذا جزء من توجيه الإسلام السلوك العلمى بصفة عامة وهو بدوره نابع من توجيه الإسلام نحو غاية واحدة مشتركة وهى التوجيه نحو الخالق الواحد الأحد وبذلك أمر الله «قل إن صلاتى ونسكى ومحياي ومماتى لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين» (١). وتبعاً لذلك قال تعالى فى ميدان التوجيه التعليمى: «كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون» (٢). أى ليكن تعليمكم ودراستكم لله رب العالمين أساساً لا للمعيشة ولا لنيل الوظيفة، وإذا سقطت غايةالتعليم والتعلم إلى هذا المستوى الرخيص فيكثر فيهما الفساد كما نراه من غش المتعلمين وعدم جديتهم فى التعليم وكما نري ذلك فى كثير من المعلمين الذين لا يجدون فى التعليم ولا يخلصون فيه، بل نرى بعضهم يغشون بثمن بخس دراهم معدودة ولا يعلمون كما يجب ويقولون ما لا يعلمون، فإذا انتشر مثل هذا الفساد فى ميدان العلم فكيف يتقدم العلم ومن ثم كيف تتقدم الحضارة؟ ولهذا منع الإسلام أن يطلب العلم لغير غاية أخلاقية أيا كانت تلك الغاية فقال الرسول: «لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء أو لتباروا به السفهاء ولا لتحدثوا به فى المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار» (٣)، لأن طلب العلم لغاية غير اخلاقية يعد سلوكاً غير اخلاقى، ومن ثم يعاقب عليه فى الآخرة، ولا سيما إذا كان ذلك العلم علم الدين؛ لأنه بذلك يتخذ الدين وسيلة لأغراض غير أخلاقية، ولأنه يترتب على اتخاذ تعلم الدين وتعليمه وسيلة لمجرد معيشة دنيوية فساد كبير من حيث أنه لا يعلم إلا بالمقابل ومن ثم فمن لا يجد ما يدفع لا يستطيع أن يتعلم، والدين ضرورى للحياة الإنسانية يجب ألا يضن بتعليمه لأى سبب آخر، ثم إن الذى يتعلم الدين ليتاجر به كمن يصلى ليكسب مالاً أو عرضاً من أعراض الدنيا وهذا يعد نفاقا، ومن ثم يكون عدم تعلمه خيراً من تعلمه

(١) سورة الأنعام ١٦٢ - ١٦٣

(٢) سورة آل عمران ٧٩.

(٣) سنن الدارمى، كتاب المعلم جـ ١ ص ٨٠

كما يكون عدم صلاته تلك خيرا من صلاته، ولهذا قال الرسول عن التعلم فى هذا المجال: «من تعلم علما يُبْتَغَى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» (١).

وقال أيضا: « من تعلم لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار»(٢). كما بين الرسول كيف يحاسب الانسان أمام ربه ثم يلقى به فى النار إذا تعلم العلم لغير غرض أخلاقى فقال «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت قا كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتي ألقى فى النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قل فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتي ألقى فى النار» (٣).

لكن هذا لا يمنع من أخذ الأجر على التعليم إذا كان محتاجا، ما دام لم يكن هدفه مبدئيا من التعلم كسب الرزق وما دام لم يقصد كذلك أمورا أخري غير أخلاقية، ما دامت غايته في البداية والنهاية أولا وقبل كل شئ خدمة الدين وخدمة الناس عن طريق العلم لوجه الله ما دام الأمر كذلك لا حرج عندئذ من أخذ الأجر لأن الأجر أصبح وسيلة وليس غاية. حتى ولو كان ذلك الأجر على تعليم القرآن، ثم إن تقدم العلوم يحتاج من جهة أخرى إلى التخصص فى كل فرع من فروعها وكلما زاد التخصص تقدمت العلوم لكن التخصص يحتاج إلى ضمان الرزق أو مورد رزق، ولهذا قال الرسول: «إن أحق ما أخذتم عليه أجرا هو كتاب الله» (٤). ومعلوم أن الرسو زوج أحد أصحابه بما معه من القرآن واعتبر قراءته صداقا (٥) وقال أيضا: «من طلب شيئا من هذا العلم فأراد به ما عند الله يدرك إن

---

(١) التاج جـ ١ ص ٧٤

(٢) أ- صحيح الترمذى جـ٤ ص ١٤١ كتاب العلم ب- التاج جـ ١ ص ٧٥

(٣) صحيح مسلم كتاب الإمارة جـ٣ ص ١٥١٤

(٤) فتح البارى بشرح البخاري كتاب الإجارة جـ٥ ص٣٦٠

(٥) المرجع السابق كتاب النكاح جـ ١١ ص٣٢

شاء الله ومن أراد به الدنيا فذاك والله حظه منه»[1]. وقال الإمام الشعبى: « لا يشترط المعلم إلا أن يعطى شيئاً فليقبله» [2]. وقال الحكم: «لم أسمع أحداً كره أجر المعلم» [3]. وقال بعض الفقهاء الشريعة كلها إما وسائل وإما مقاصد ويغتفر فى الوسائل مالا يغتفر فى المقاصدكما قالوا لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

بعد هذا التوجيه شجع الإسلام على التعليم والتعلم، لأنهما الوسيلة الوحيدة لترقية الحياة الإنسانية وتنويرها وتحقيق الرفاهية وفهم الحياة والكون والوجود والحقائق، ثم إن العلم ضرورى للإنسان لأنه غذاء للعقل وأن غريزة العقل تدفع الانسان لتحقيق حاجته من المعرفة، ويعد علماء النفس هذه الحاجة من الحاجات الطبيعية الأساسية للإنسان وقد وضعها مازلوMazlow فى المرتبة الخامسة من هذه الحاجات[4].

ولهذا شجع الرسول المتعلمين على التعلم أولا، لأن من لا يجد فى طلب العلم لا يحصله فقال مشجعاً البحث على العلم« من سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقاً إلى الجنة»[5]. وقال « إن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم» وفى رواية رضاء بما يصنع[6]، وطلب الإسلام أن يغادر طلاب العلم بلادهم إلى بلاد أخرى إن احتاجوا فقال تعالى: «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون»[7]. ثم طلب من أهالى البلاد التي يفد إليها طلاب العلم أن يسهلوا لهم السبل للتعلم فقال الرسول: «إن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرضين يتفقهون فى الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا»[8].

---

(١) سنن الدارميى كتاب العلم جـ١ ، ص٨

(٢) فتح الباري بشرح البخارى جـ ٥ ص ٣٦٠ كتاب الإجارة

(٣) المرجع السابق جـ ٥ ص ٣٦٠

(٤) الإنسان معجزة الخلق، الدكتور جاك فرج جودة ص ٩٣ - ٩٤.

(٥) التاج كتاب العلم جـ ١ ص٧٣

(٦) أ- سنن ابن ماجه. مقدمة، رقم الحديث ٢٢٦. ب- التاج جـ١ ص٦٣

(٧) سورة التوبة ١٢٢.

(٨) التاج جـ١ ص٧٣ كتاب العلم

ومن جهة أخرى شجع علـى التعليم فقال «إن مما يلحق المؤمن مـن عمله علماً علمه ونشره» [1]. وقال أيضا: «تعلموا العـلم وعلموه للناس» [2] ،وبين أن من يعلم ينال مثل أجر العامل به فقال الـرسول: «من علم علماً فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل» [3].

ثم دعا إلى تحبيذ الـناس إلى العلم فقال: «علموا ويسـروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنـفروا» [4] ،وقـال: «علـمـوا وبشـروا ولا تـعـسروا وإذا غـضـب أحدكـم فليسكت» [5]، أى إذا حصل من المـتعلم ما يزعـج أستاذه فلا تشتـموا ولا تذموا؛ لأن السكوت يجعله يسكت وهذا من أساليـب التعليم ينصح به المربون المحدثون، وقال الرسول: «أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسـلم علماً ثم يعلمه لأخيه المسلم» [6]،وحذر الإسلام فى الوقت نفسه من كتمان العلم فقال الرسول: «من سئل عن علم ثم كتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» [7]،وقال تعالى: «وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتُبـينُنه للناس ولا تكتمونه» [8] ،وقال أيضا: «إن الذين يكتـمون ما أنزل اللـه من الكتاب ويـشترون به ثـمناً قليـلاً أولئك ما يأكـلون فى بطونهم إلا الـنار ولا يكلمهم الله يـوم القيامة ولا يزكيهم ولـهم عذاب أليم» [9]، ومن أهم مظاهر التـوجيه الإخلاقى الإسلامى فى ميدان التقدم العـلمى للحضارة هو العمل بالعلم ؛لأن أثر التقدم العلـمى لا يظهر فى الحياة إلا بذلك، ولهذا فقد دعا الإسلام أن يـكون كل سلوك وكل فـعل مؤسساً علـى علم فيجب ألا يـخطو رجل خطوة دون علم وإلا سيكون مسئولاً فقال تعالى: «ولا تقف ما ليس لك به

---

(١) سنن ابن ماجه. مقدمة حديث ٢٤٢

(٢) سنن الدارمى مقدمة كتاب العلم جـ١ ص٧

(٣) سنن ابن ماجه جـ١ ص٨٩ حديث ٢٤٣.

(٤) مسند الإمام أحمد باب الحديث عن التعليم جـ١٠ ص ٢٥٢

(٥) المرجع السابق كتاب العلم.جـ ٤ ص ٨٩

(٦) سنن ابن ماجه جـ ١ ص٨٩ رقم ٢٤٣

(٧) سنن الترمذى كتاب العلم جـ١ ص ١٣٨

(٨) سورة آل عمران ١٨٧.

(٩) سورة البقرة ١٧٤.

علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً» [١]. وقال الرسول «من أفتي بغير علم كان إثمه على من أفتى ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه» [٢]،ثم لم يكتف الاسلام بكل هذا بل شجع بعد ذلك على العمل بالعلم، أو الالتزام بالعلم؛ لأن فائدة انتشار العلم فى العمل به فهو كالكنز لا ينفع إلا بالانتفاع به، ولأن تقدم الحضارة متوقف على العمل به، ولهذا قال الرسول: «تعلموا العلم وانتفعوا به ولا تعلموه لتتجملوا به» [٣]، وجعل المسئولية على من تعلم ولا يعمل به فقال؟: «لا تزال قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه؟ وعن علمه ما فعل به؟ وعن ماله من أين أكتسبه؟ وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه»؟ [٤]،وندد الله بالذين لا يعملون بما يعلمون ويقولون ما لا يفعلون فقال: «يأ يها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون» [٥] ،وبين الرسول كيف يعذب هؤلاء في الآخرة فقال «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه إليه أهل النار فيقولون: يافلان ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه» [٦].

وكما أن تقدم الحضار ة متوقف على التقدم العلمى؛ فإن التقدم العلمى نفسه متوقف من ناحية أخرى على التطبيق العلمى للعلم، لأن العمل به بمثابة تجربة والتجربة وسيلة للتقدم العلمى، ولهذا كله فإن الاسلام اهتم كل ذلك الاهتمام بالعمل ووجه الحركة التعليمية ذلك التوجيه الرشيد فى ضوء الروح الأخلاقية ليؤدى التقدم العلمى إلى خير الإنسانية وبناء حضارة خيرة.

---

(١) سورة الاسراء ٣٦

(٢) التاج، كتاب العلم. جـ ١ ص ٧٣

(٣) سنن الدارمى، كتاب العلم جـ١ ص ٨٦

(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ١١٠

(٥) سورة الصف أية ٢ – ٣

(٦) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق. جـ٤ ص ٢٢٩١

وفيما يتعلق بالتقدم الزراعى شجع الإسلام أولاً على استصلاح الأراضى، لأنه الأساس الأول لذلك التقدم، ولهذا قال الرسول «من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها» [1]،وفى رواية «من أحيا أرضاً ميتة فهى له»[2]. وقال أيضا فى هذا الصدد «من سبق إلى ما لم يسبق إليه مسلم فهو أحق به» [3]. كما شجع على فتح الآبار وإخراج المياه من أجل تحقيق الخير وذلك بوقفها فى سبيل الله[4].

بعد ذلك شجع على الزرع وبين أن الزارع له أجر إذا أكل من زرعه إنسان أو حيوان أو طير فقال الرسول: « لا يغرس مسلم غرساً ولا يزرع زرعا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شئ إلا كانت له صدقة» [5]. وفى رواية أخرى « ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه «لا ينقصه» أحد إلا كان له صدقة» [6].

وفيما يتعلق بالجانب العمرانى للحضارة فقد وردت نصوص كثيرة تشجع على البناء والعمران لإيواء الفقراء والمساكين ووقفه فى سبيل الله فمنها ما روى عن الرسول: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه ومصحفاً أورثه، أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها فى صحته وحياته يلحقه من بعد موته [7]» كما وردت نصوص أخرى شبيهة بذلك يشجع فيها الرسول على تعمير الأراضى

---

(١) فتح البارى بشرح البخارى، كتاب المزارعة- باب إحياء الارض جـ ٥ ص ٤١٦

(٢) بستان الاحبار مختصر نيل الاوطار، فيصل بن عبد العزيز جـ ٢ ص ٥٦

(٣) التاج جـ ٢ ص ٢٤٦

(٤) فتح البارى ، كتاب الوصايا جـ٦ ص ٣٣٦

(٥) صحيح مسلم، كتاب المساقاة- باب الغرس والزروع جـ ٣ ص ١١٨٨

(٦)المرجع السابق جـ ٣ ص ١١٨٨

(٧) سنن ابن ماجه مقدمة رقم الحديث ٢٤٢

وإجراء المياه وبناء الدور ثم وقفها فى سبيل الله [1] ،كذلك شجع على بناء المساجد وتعميرها في سبيل الله فقال: «من بنى مسجداً لله يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة»[2]، وقال أيضا: «من بنى مسجداً لله بنى الله له بيتاً فى الجنة»[3] ،وفى بناء البيوت أيضا قال الرسول: «من سعادة ابن آدم ثلاثة ومن شقوة ابن آدم ثلاثة: من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة والمسكن الصالح، والمركب الصالح ومن شقوة ابن آدم المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء» [4]. وفى رواية أخري المسكن الواسع بدل الصالح [5] وفعلاً إن هذه الأمور الملازمة لحياة الإنسان كل يوم فإذا لم يكن مرتاحاً فيها لا يمكن أن يرتاح فى حياته، بل يتعذب كل يوم فيها وبها، ولهذا من أراد أن يكون سعيداً فى حياته فعليه أن يتخذ أسبابها ومن أسبابها اتخاذ المرأة الصالحة والبيت الصالح والمركب الصالح واتخاذ البيت الصالح يقتضى التعمير أو البناء الصالح.

وفيما يتعلق بمظهر التقدم الصناعى للحضارة فإنه يتوقف أساساً على التقدم العلمى والتقدم الأخلاقى ثم التقدم الزراعى، أما فيما يتعلق بالعلم فإن الأمر لا يحتاج إلى جدال ومناقشة؛ لأن العلم أساس هام لأى تقدم، ولهذا كان اهتمام الإسلام بالعلم كثيراً كما سبق بيانه، وأما فيما يتعلق بالتقدم الأخلاقى فإن الإخلاق تؤدى أولاً إلى الاستقرار والأمن وتنجى المجتمع من المخاوف والاضطرابات والصراعات الدموية التى نراها اليوم فى البلاد والتى تخرب البلاد وتدمر الحضارة، وذلك من الأساسيات المبدئية ليستطيع الإنسان التفرغ للإبداع والابتكار، ولهذا يقول ول ديورانت: «إن الحضار ة تبدأ حيث ينتهى الاضطراب

---

(١) كمثال لذلك انظر فتح البارى كتاب الوصايا جـ ٦ ص ٣٣٤

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، كتاب الزهد والرقائق جـ٦ ص ٣٢٤

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق جـ ٤ ص ٢٢٨٣

(٤) مسند الإمام أحمد جـ ١ ص ١٦٨

(٥) الجامع الصغير جـ١ ص ١٣٧

والقلق لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء»[1].

وفيما يتعلق بالتقدم الزراعي ودوره في تقدم الصناعة، فإن التقدم الزراعي يؤدي إلى طمأنينة الناس من حيث شعورهم بضمان الأرزاق من المأكل والمشرب. إذ إن ذلك من الحاجات الأساسية التي تشغل بال الإنسان باستمرار، ولهذا يتكلم ول ديورانت عن دور التقدم الزراعي في الحضارة ويقول: «وأول صورة تبدت فيها الثقافة هي الزراعة، إذ الإنسان لا يجد لتمدنه فراغاً ومبرراً إلا إذا استقر في مكان يفلح تربته ويخزن فيه الزاد ليوم قد لا يجد فيه موردا لطعامه في هذه الدائرة الضيقة من الطمأنينة- وأعني بها مورداً محققاً من ماء وطعام - ترى الإنسان يبني لنفسه الدور والمعابد، ويخترع الآلات التي تعينه على الإنتاج[2].

هذا إلى أن هناك مبادئ أخرى في الإسلام لتقدم الصناعة مثل إتقان العمل وإحسانه، لأن محاولة الإتقان هي وسيلة الإبداع، ولهذا قال الرسول: «يحب الله العامل إذا عمل أن يحسن» [3] وفي رواية أخرى أن يتقن بدل أن يحسن [4]. وهذا المبدأ يقتضي تقويم الإنسان عمله بنفسه سائلاً نفسه هل أتقن عمله ؟وما جوانب النقص ثم العمل لإكمال تلك الجوانب، ومن تلك المبادئ أيضا مساعدة من لا يعرف أولا يجيد صناعة الشئ. وتعليمه صناعة ذلك الشئ وتجويده؛ ولهذا قال الرسول لأبي ذر عندما سأله عن أفضل الأعمال: «تعين صانعاً أو تصنع لأخرق[5] »:

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت. جـ١ ص ٣

(٢) المرجع السابق ص ٥

(٣) الجامع الصغير جـ٢ ص ٢٠٥

(٤) كشف الخفاء ومزيل الإلباس جـ ١ ص ٢٨٥

(٥) كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري. باب إن كل معروف صدقة رقم الباب ١٢٥ ص ٦٧

ومن تلك المبادئ تشجيع الرسول على اختراع المشروعات الخير مثل قوله: «من سن فى الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها»[1].

ومن تلك المبادئ أيضا أخذ الاستعداد وصناعة الأسلحة لمواجهة الأعداء فقال تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون» [2].

وباعتبار أن معيار القوة هو أن تصل إلى مستوى يرهب جهة الأعداء؛ فهذا يقتضى أن يصنع المسلمون أسلحة من كل عصر تكون أقوى وأكثر تقدماً من أسلحة الاعداء، وإلا تكون أسلحتهم مرهبة لهم ثم إذا تسابق الناس إلى تقديم الخيرات إلى الناس بالوسائل المختلفة بناء على الروح الأخلاقية الخيرة فإن الأمر يؤدى إلى اختراع وسائل الخير وستكون الصناعة من ضمن تلك الوسائل، بل أكثر من هذا وذلك فإن هناك مبادئ أخرى فى الإسلام تتعلق بإبداع الصناعة وتجميلها، وهذا يساعد على تقدم فن الصناعة، وهو الفن التجميلى أو الإبداعى للصنعة والبناء، وخاصة إذا أخذنا فى الاعتبار تعريف ول ديورانت للفن بأنه إبداع الجمال [3]، أو تعريف سوريو «بأن الفن هو نشاط إبداعى من شأنه أن يصنع أشياء أو ينتج موضوعات»[4] ؛لأن تقدم الصناعة من هذه الناحية متوقف على تقدم الفن الصناعى، وهذه العلاقة بين أثر تقدم الفن فى تقدم الصناعة تظهر بوضوح فى تعريف دلاكرو بأن «الفن هو عبارة عن نشاط اصطناعى. . . لأنه لا يمكن أن يكون ثمة فن حيث لا تكون هناك صناعة» [5]. كذلك تتبين تلك العلاقة فى

---

(١) صحيح مسلم كتاب العلم جـ ٤ ص ٢٠٥٩

(٢) سورة الأنفال ٦٠

(٣) قصة الحضارة ص ١٤١

(٤) مشكلة الفن، دكتور زكريا ابراهيم. ص ٢٣

(٥) مشكلة الفن مرجع سابق ص ٣٢

تعريف عالم الجمال الفرنسى «شارل لالو» بأن الـفن «هو عبارة عن عملية التحوير أو التغيير التى يدخلها الإنسان، على مواد الطبيعة»[1].

ويمكن أن نعبـر عن الجانب الفنى في الصنـاعة بأنه الصناعة الراقيـة الجميلة أو المبدعـة؛ لأن التفنن فى الـصناعة والبـناء وإبداعهـما وتجميلـهما جانب مـهم فى الحضارة الصناعـية؛ إذ الفن يضفى قيمة إضـافية فى الصناعة، وهو قيـمة جمالية يحتاج إليها الإنسان، لإشـباع حاجته الجمالية التى بينا قيمتـها فى بحثنا الخاص عن طريق الـسعادة من ناحـية إدخالها الـسرور فى نفـس الإنسان ودورها فى الـسعادة النفسية، ولهذا فإن الله لما خلق أبدع خلقه «بديع السموات والأرض» [2]، «صنع الله الذى أتقن كل شئ» [3] ومن ثم وجه نظر الإنسان إلى تلك المخلوقات الجميلة ثم طلب من الإنسان أن يكون جميلا فى منظره وفى مخبره وسلوكه، لكن تجميله ذلك يجب أن يكون فى إطار الإخلاق، ولهذا لما سأل أحد الصحابة الرسول قائلا «هل من الكبر أن يكون ثوب الانسان حسنـا ونعله حسناً؟ فقال الرسول: «إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس» [4].

ولهذا أيضـا كان الرسول ينصح دائـماً بتحسين الهنـدام وتجميل المظهر وتـطهير الثياب [5]، وقال تعالى: «قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده» [6] ، «يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد» [7] ، فإذا لم نعرف صناعة الزينـة فكيف نتزين بها؟ لكن ليستطيع الإفراد الإبداع فى الجمال فى مـيدان الصناعة والبناء لابد من التربية الجمالـية أو تكوين إحـساس جمالى عـندهم، لأنه كـلما زاد الإحساس الجـمالى عنـدهم زادت قدرتهـم فى الإبداع الجـمالى، ومن هـنا يبـدو وجود العلاقـة بين

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢

(٢) سورة البقرة ١١٧.

(٣) سورة النمل ٨٨

(٤) التاج جـ ٥ ص ٣٢

(٥) االستدرك على الصحيحين فى الحديث جـ ٤ ص ١٨٦

(٦) سورة الأعراف ٣٢

(٧) سورة الأعراف ٣١.

الأخلاق باعتبارها سلوكاً مهذباً جميلاً وبين الفن باعتباره الإبداع الجمالي، ومن ثم يرون أن الصلة بين التربية الأخلاقية والتربية الفنية الجمالية على أساس المعايير الجمالية لابد من أن تلتقى بالمعايير الأخلاقية وقالوا «إن الجمال هو بهاء الخير وأن الأخلاق هى جمال العادات» [١]. وبناء على ذلك وحد بعض الدراسين بين قيمة الخير وقيمة الجمال حتى نسبوا إلى الفن صفة أخلاقية تربوية [٢]، وعلى ذلك يرى «برنشفيك» أن من شأن الفن أن يسدى إلى الأخلاق خدمة جليلة، وأن التربية الجمالية هى بلا شك الوسيلة الناجعة التى يتسنى لنا عن طريقها أن ننتقل من أخلاق جزئية محدودة إلى أخلاق عامة كلية [٣] ،ومن مظاهر الجمال الحضارى نظافة الجسم والملبس المسكن والبيئة، ولهذا تقتضى التربية الحضارية تدريب الأجيال على ذلك.

بعد هذا كله يبقى مظهر أو عنصر آخر من الجانب المادى للحضارة وهو التجارة التى تعبر عن جانب هام من العلاقات الانسانية الرفيعة التى تنعكس فيها أخلاقيات المجتمع وروح الإنسانية التى تسوده، إذ إنها تعبر عن مدى ما يسود المجتمع من نزاهة المعاملة وتبادل الثقة وروح الإخلاص والصدق والتعاون ومراعاة المصلحة العامة، كما تعبر عن مدى ما يسود المجتمع من الاستغلال والأنانية والكذب والخداع والغش والشراسة والأثرة وفقدان الثقة وما إلى ذلك، هذا إلى أن المدنية إذا كانت رقة المعاملة أو السلوك المهذب كما يقول بعض الدارسين؛ [٤] فإننا يمكن أن نقيس مدى ما وصلت إليه المدنية فى المعاملات التجارية بين الناس بالأساليب الرفيعة المهذبة التى يتم بها التعاون التجارى، لأنها هى التى تعبر عن مدى ما وصلت إليه المشاعر الأدبية السامية لدى الناس ومدى احترامهم لهذه المشاعر عند غيرهم.

---

(١) مشكلة الفن، «زكريا إبراهيم» مكتبة مصر ص ٢٢٣

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٣

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٤

(٤) قصة الحضارة، ول ديورانت ص٥ .

كما يظهر جانب آخر من المدنية فى طرق استخدام الثروة ومجالات استعمالاتها.

ولهذا وجه الإسلام هذه الناحية من الحضارة الإنسانية توجيهاً أخلاقياًس ليكون التقدم الاقتصادى فى إطار التقدم الأخلاقى ومتمشياً مع التقدم الإنساني، فمنع الغش والخدعة والغصب أو أى كسب آخر بطريق غير أخلاقى فقال تعالى: «يأ يها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم» [1] .ولا يقتصر هذا فى ميدان التجارة فحسب، بل يشمل كل ميادين الكسب، ولهذا قال تعالى: «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل» [2] .ثم دعا الإسلام إلى الإخلاص والصدق فى المعاملة التجارية فقال الرسول: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما» [3] ومنع الكسب بالربا، لأنه امتصاص مكاسب الآخرين بدون مقابل وبدون التعب وبدون ضمان الخسارة فى التجارة، ومن ثم يمكن أن يخسر أحد الطرفين خسارة كلية، ويهدم بيته دون أن يتأثر الطرف الآخر، ومن ثم يمكن امتصاص أموال الناس واستغلال مكاسبهم بهذه الطريقة؛ ولهذا قال تعالى: «وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله» [4] «يمحق الله الربا ويربى الصدقات» [5] . «الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا» [6] كذلك منع الاحتكار فى الشراء والبيع وخاصة فى أقوات الناس فقال الرسول: «من احتكر فهو خاطئ» [7] ودعا إلى أن يكون البائع أميناً فى بيعه وأن يبين ما فى سلعته من عيوب فقال الرسول: «لا يحل لامرئ يبيع سلعة يعلم أن

---

(١) سورة النساء ٢٩

(٢) سورة البقرة ١٨٨

(٣) فتح البارى بشرح البخارى، كتاب البيوع جـ ٥ ص ٢١٥

(٤) سورة الروم ٣٩

(٥) سورة البقرة ٢٧٦

(٦) سورة البقرة ٢٧٥

(٧) صحيح مسلم، كتاب المساقاة جـ ٣ ص ١٢٢٧

بها داء إلا أخبره» ، [1] كما دعا إلى نبذ التناجش والاساليب البغيضة التى تثير الأحقاد والعداوة بين الناس فقال الرسول: «ولا تناجشوا ولا يبيع الرجل على بيع أخيه» [2]. وزاد فى حديث آخر: « ولا يسم مسلم على سوم أخيه حتى يأذن له أو يتركه» [3] هذا إلى أن الإسلام لم يكتف بتحريم المعاملة التجارية غير المشروعة، بل دعا بعد ذلك أيضا إلى حسن المعاملة والمعاشرة والمقابلة؛ وذلك ليرتفع بالأمة إلى المستويات العالية من السمو الأدبى فقال الرسول مثلا فى هذا الصدد: «أدخل الله عز وجل رجلاً كان سهلاً مشترياً وبائعاً وقاضياً ومقتضياً الجنة»[4]،وكان الرسول يبايع الناس على عدم التنفير فى المعاملة فروى جابر أنه قال: «إنما بايعناه على أن لا ننفر» [5] وكما دعا إلى استقبال الناس بوجه مبتسم فقال: «وبسمتك فى وجه اخيك لك صدقة» [6] وبعد أن دعا الناس إلى أن يستقبلوا الناس بوجوه مبتسمة دعاهم أيضاً أن يستخدموا فى معاملاتهم كلمات أدبية مهذبة، وبين الرسول أن استخدام مثل تلك الكلمة يعد صدقة، فقال: «والكلمة الطيبة صدقة» [7]

بعد ذلك وجه الإسلام إلى أساليب استخدام الثروة بأن لا يكون هذا الاستخدام فى الحرام وألا يكون كذلك افتخارا كما منع التبذير والإسراف فقال تعالى: «كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين» [8] ومدح الذين يعتدلون فى الإنفاق فقال: «والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً»[9] وأمر أن يكون الإنفاق للخير بالنيات الخَيِّرة: «يأ يها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس» [9] ،ومن ثم تتبين لنا قيمة

---

(١) فتح البارى بشرح البخارى كتاب البيوع جـ ٥ ص ٢١٤

(٢) فتح البارى كتاب البيوع وصورة البيع على بيع أخيه أن يقول لمن اشتري من غيره فى مدة الخيار أن يرده ليبيعه بأرخص من صاحبه أو أن يستقيل ليبيع أحسن من بضاعته جـ ٥ ص ٢٥٧.

(٣) صحيح مسلم وصورة المساومة أن يقول للبائع استرد بضاعتك لأشترى منك بأكثر جـ ٣ ص ١١٥٤.

(٤) سنن النسائى جـ ٧ ص ٢٧٩ - ٢٨٠

(٥) سنن النسائى جـ ٧ ص ١٢٧

(٦) سنن الترمذى كتاب البر والصلة - باب صنائع المعروف جـ ٣ ص ٢٢٨

(٧) صحيح مسلم كتاب الزكاة جـ ٢ ص ٦٩٩

(٨) سورة الاعراف ٣١.

(٩) سورة الفرقان ٦٧

التوجيه الإخلاقى فى بناء الحضارة من الناحية الاقتصادية من ناحيتين: ناحية الإنتاج، إذ الأخلاق تدعو إلى المثابرة وإلى العمل المتقن وإلى اختراع ما يفيد المجتمع ويحل مشاكله، وناحية الانفاق إذ إنها تدعو إلى عدم الإسراف والتبذير وعدم الإنفاق إلا فيما يجب الإنفاق فيه. ومعلوم أن الاقتصاد لا ينمو فى أى مجتمع إلا بهاتين الطريقتين: كثرة الإنتاج والتنمية فى مختلف المجالات ثم الاقتصاد فى المصروفات.

هذا إلى أن هناك قيمة أخري للتوجيه الأخلاقى وهى القيمة النفسية فى ميدان الاقتصاد، ذلك أن الاخلاق الإسلامية تدعو إلي القناعة والرضا بما يمتلكه الإنسان، لأن النفس الإنسانية لا تشبع أساسا ولو ملك الدنيا، بل يرغب زيادة على ذلك في أن يملك كل ما في الأرض، وصدق الرسول عندما عبر عما في النفس الإنسانية من مطامع فقال: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب» [٢] ،ولهذا دعا إلى القناعة وعدم التطلع إلى ما فى أيدى الناس فقال: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس»[٣] ، لأن النفس بغير القناعة لا يمكن أن تشبع، وما دامت لم تشبع فإنه يشعر بالضيق والكآبة، وكأنه لم يملك شيئاً وحرم من كل شئ، ومن ثم يعيش فى تبرم وضجر باستمرار، بل قد يؤدى طمعه وشرسه إلى إهلاك نفسه، كما أن تضخم الثروة فى يد المرء وعدم تقيده بالقواعد الأخلاقية فى صرف تلك الثروة تجعل مالكها شخصية مفسدة وطاغية فى المجتمع، ومن ثم يؤدى الأمر إلى التناحر بين هذه الشخصيات وينتج عنه فتن وقلاقل ومفاسد واضطرابات فى الحياة الاجتماعية، ويشير دور كايم إلى هذه الحقائق ودور الأخلاق فى ضبط النفس وحصرها فى السير فى طريق مستقيم يقول: «كذلك لو تزعزت أركان الاخلاق التى تتحكم فى الحياة الاقتصادية فإن المطامع الاقتصادية لا تعرف حينئذ حدا تقف عنده فتبلغ أقصى حدود الثورة والانفعال؛ وفى هذه الحالة يظهر صدى تلك الثورة

(١)صحيح مسلم، كتاب الزكاة جـ ٢ ص ٧٢٥

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة جـ ٢ ص٧٢٦

في ارتفاع النسبة السنوية لعدد المنتحرين، وإن الأمثلة لذلك لعديدة، فلما كانت مهمة الأخلاق هى الحصر والتحديد كان من السهل أن يصبح الثراء الفاحش سبباً للتبذل الاخلاقى، إذ إن القدرة الهائلة التى يكسبها إيانا ذلك الثراء تقلل من مقاومة الأشياء لنا وبهذا تكتسب رغباتنا فى الحدود المعتادة أمراً أصعب، وفى هذه الأحوال يزداد اختلال التوازن الأخلاقى، وتكفى أقل صدمة كما يسوده الاضطراب التام، ومن كل هذا نستطيع أن نتبين مم يتكون الداء اللامتناهى الذى ينتاب عصرنا ومن أين يأتى؟» [1] ولهذا كله ينصح ألبرت أشفيتسر أن تكون الروح الأخلاقية هى الموجهة لجميع جوانب الحضارة [2]

وبعد، فقد تبين لنا مما سبق أن بناء الحضارة وتقدمها ثم ثباتها واستقرارها متوقف تماما على أفراد المجتمع، لكن هؤلاء الافراد لا يستطيعون أن يقوموا بتلك المهام إذا لم يتكونوا تربويا؛ لأنها ضرورية أولاً للترقية بالإنسان من مرحلة الهمجية والوحشية إلى أن يكون أهلاً للمدنية الإنسانية، وضرورية ثانيا لبناء الحضارة وضرورية أخيرا لنقل الحضارة والمدنية من جيل إلى جيل، وهذا ما يقرره دارسو الحضارة أيضا [3] وتظهر ضرورة ذلك بصورة أوضح إذا أخذنا في الاعتبار التربية الأخلاقية، لأنها تكون فى شخصية المرء قوة دافعة محركة، قوة موجهة تحرك الإنسان إلي أعمال بناءة خيرة للإنسانية وتجعلهم يتسابقون فى عمل الخيرات، بدلاً من أن يتسابقوا فى قضاء الشهوات والافتخار بالممتلكات واستخدام الثروة فى السطو والتسلط على حقوق الناس أو لإذلالهم واستعبادهم للمآرب الشخصية، كما أنها تكون فى الإنسان قوة رادعة وزاجرة من أن ينساق إلى أعمال تخريبية أو شريرة أو أن يستخدم ثروته لنزاوته الطائشة فيؤدى الأمر إلى الإضرار بنفسه وبغيره أيضاً. يقرر هذه الحقائق أيضاً بدقة المفكر الاجتماعى دور كايم قائلا: «والواقع أن

(١) التربية الاخلاقية، دور كايم ص ٤٣

(٢) فلسفة الحضارة، ألبرت اشفينسر ص ٥٦

(٣) قصة الحضارة ، ول ديورانت ٧- ٨

القواعد الأخلاقيـة بفضل تلك السلطة الكامـنة فيها هى قوى حقيقيـة تصطدم بها رغباتنا وحاجاتنا وشهواتنا المختلفة عندما تميل إلى تجاوز حدود الاعتدال، وصحيح أن هذه القوي ليـست مادية ولكنها مـع ذلك قادرة علي التحريـك وتحويل الاتجاه فإنها ولو لم تقو على تحريك الأجسام بطـريق مباشر تحرك النفوس وتوجهها حيث تشاء فلها فى ذاتها كل ما يلزم لتحويـل إرادتنا عن قصدها واجبارها على السير فى طريق معين وعلى حصرهـا وتوجيهها فى اتجاه دون آخر» [1] وكذلك يقرر «جون ديوى» الفيلسوف الأمريكى هذه القوي الموجـهة للأخلاق عندما يتكلم عن واجب الفلسفة نحو الكشف عن هذه القوي الأخلاقية التى تحرك البشر وتحفزهم [2]

لكن مـع ذلك أكرر قولى بـأن الأخلاق لا يمكن أن يكون لـها ذلك التأثـير فى حياة الـبشرية ولا فى بـناء الحضارة الانسانـية بدون التربـية الأخلاقية الأسـاسية، لتكوين كـل فرد من الصغر تكوينـاً أخلاقياً متشبعاً بـروح الأخلاق أو بروح الخير وخالياً من روح الشـر، عندئذ نستطيع بفضـل تلك التربية تكوين مجـتمع إنسانى خير يـسعى لخير أفراده كـما يسعى أفـراده لخير مجتـمعهم، وبهذه الـروح وحدها نستطـيع بناء حضارة ومـدنية إنسانية، ومـن ثم نستطيـع استخدام كل ما فـيها من طاقات وإمكانيات مادية وعضوية لتحقيق الرفاهية والسعادة للجميع.

وأضيف هـنا إلى قولى هذا قـول «ألبرت أشفيتـسر» الذى يقول بعـد أن يضع الأخلاق فى الأسـاس الأول لنشأة الحـضارة يقول بعـد ذلك: «إن الحضارة تـنشأ حين يستلهم النـاس عزماً واضحاً صادقاً على بلوغ القصد ويكرسـون أنفسهم تبعا لذلك لخدمـة الحياة وخدمة العالـم، وفى الأخلاق وحدها نجد الدافـع القوى إلى مثل هـذا العمل... لكن لا سـبيل إلى إقناع الـناس بحقيقـة توكيد الحياة الـدنيا وبالقيـمة الصادقة للأخـلاق، لا سبيل لإقناعـهم عن طريق الدعـوة والوعظ، بل لابد أن تنشأ العـقلية الإيجابية الاخلاقيـة التى تمتاز بها هذه المعتـقدات فى الإنسان

---

(١) التربية الاخلاقية، دور كايم ص ٤٢

(٢) تجديد فى الفلسفة، جون ديوى. ص ٩٠

نفسه كنتيجة لصلة روحية باطنة بالعالم، ولن تتقدم الحضارة المستمرة الحقيقية إلا إذا وصلت غالبية الأفراد إلى هذه النتيجة» [1]

ولهذا كله فقد اهتم الإسلام بالتربية الاخلاقية العملية اهتماما بالغا فقال الرسول مثلاً: «ما نحل والد ولده من نحل أفضل من أدب حسن» [2]، ثم لم يكتف بدعوة الآباء إلى تربية أبنائهم تربية أخلاقية، بل دعا كذلك إلى أن يتخذ كل فرد مجموعة من الأولاد الذين لا يوجد لهم أهل يربونهم فقال: «من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة» [3] وقال أيضا: «ثلاثة لهم أجران وأحدهم كانت عنده أمة فأدبها وأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها» [4] وذلك لكيلا يبقى فى المجتمع فرد غير مترب بالتربية الأخلاقية، ثم دعا إلى عقد مجالس تربوية فقال: «من جاء مسجدى هذا لم يأت إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد فى سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره» [5]، وقال : «ليتعلم خيراً أو يعلمه» [6].

ولهذا كله أيضاً فإن الرسول لم يأت لمجرد تبليغ رسالة ربه، بل جاء أيضاً لتربية الأمة بهذه الرسالة وبفضائلها؛ ولهذا قال تعالى: «كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون [7]» إذ إن التزكية من التربية الأخلاقية كما بينا، وإنما اهتم الإسلام كل هذا الاهتمام بهذه التربية لأن الأمر يتعلق أولاً بنجاح حياة الفرد وفلاحه أو شقاوته

---

(١) فلسفة الحضارة، ألبرت أشفيتسر ص ٥- ٦.

(٢) أ - سنن الترمذى جـ٣ ص٢٢٧ كتاب البر والصلة ب- مسند الامام أحمد جـ٣ ص٤١٢

(٣) سنن أبى داود جـ ٤ ص ٤٥٩ كتاب الأدب . ح ٥١٤٧ باب فضل من عال يتيماً

(٤) فتح البارى، كتاب العلم - باب تعليم الرجل أمته جـ ١ ص ٢٠٠.

(٥) سنن ابن ماجه، مقدمة باب الحث على العلم ص ٢٢٧

(٦) المرجع السابق مقدمة ص ٢٧

(٧) سورة البقرة ١٥١

وخيبته؛ ولهذا قال تعالى: « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها» [1] ومن ثم فإن خير ما يقدمه الإنسان لابنه فى حياته هو أن يربيه تربية أخلاقية سليمة؛ ولهذا فإن الرسول عندما سئل ما خير ما أعطى الإنسان؟ قال «خلق حسن» [2] ؛لأن الإنسان إذا أعطى ابنه حسن الأخلاق ضمن نجاح حياته، وإذا أعطاه المال دون الأخلاق ضمن فساد حياته وخيبته وإذا أعطاه العلم دون أخلاق لا يضمن استقامته واستخدام علمه فى الصلاح.

عناصر الحضارة الإسلامية:

وبعد هذه التحديدات والتحليلات لمفهوم الحضارة بصفة عامة لدي الغربيين وفى إطار الإسلام، يمكن إجمال أهم عناصر الحضارة الإسلامية فى ثلاثة أقسام

الأول: العناصر المعنوية وتشمل العناصر الروحية والأخلاقية والعلمية.

والثانى: العناصر المادية وتشمل التقدم الزراعى والصناعى والعمرانى والفنى.

والثالث: العناصر التى تربط بين الجانبين السابقين وهى التنظيمية أو التشريعية التى تنظم حياة المجتمع مرتبطاً بجميع جوانب الحضارة.

وهذه الحضارة يجب أن تكون متوازنة فى تقدمها فلا ينبغى أن تتقدم بعض عناصرها وتهمل أخري أو أن تتقدم فى ناحية واحدة أكثر من اللازم بحيث تطغى على الجانب الآخر، بل يجب أن يقدر ذلك بميزان الطبيعية الإنسانية وحاجاتها، لأن الحضارة فى صورتها العامة تجسيد لحاجات الانسان واستعداداته، فيجب أن تشمل جميع جوانب حياة الإنسان بحكم طبيعته وحاجاته فلا ينبغى أن تهمل مثلا العنصر الروحى وتهتم أكثر من اللازم بالحياة المادية أو الفنيةوإلا يصاب الإنسان فى هذه الحضارة بالضيق والانهيار والتعاسة كما أصيب بها الإنسان الغربى المتحضر

---

(١) سورة الشمس ٧- ١٠

(٢) كتاب الأدب المفرد للإمام البخارى ص ٨٢ حديث ٤٩١

نتيجـة لذلك، وكما بينـا فى ذلك آراء المفكرين الـغربيين ودعوتهم مـن جديد إلى إعادة بناء الحضارة على أسس سليمة لإنقاذ الإنسان الغربى من الضياع والانهيار.

وهناك ميزة أخري للحضارة الإسلامية وهى سيادة الروح الأخلاقية الخيرة على جميـع جوانب الحضارة وأن تسـرى فى جميع عنـاصرها سريان الدم فـى شرايين الجسـم كلهـا، ابتداء مـن بناء الـفرد والمجتـمع وبنـاء الحضارة بـجميـع جوانبـها وعناصرها المختلفة، ثم إخضاع الحضـارة كلها للروح الأخلاقية من حيث الأساس ومن حيث الغاية.

ودور التربية الاخلاقية الإسلامية يتحـدد فى بناء هذه الحضارة وإخضاعها لروح الأخلاق على النحو السابق لا يمكن أن يتم إلا ببناء الفرد والمجتمع معا بناء أخلاقيا أولاً، لأن الحضارة إنما تـقوم على أكتاف الأفـراد والمجتمع بصفـة عامة، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بسيادة التربية الأخلاقيـة وتعميمها كما رأينا سابقاً. وهذا وذاك يقتضى تكوين مربين متخصصين أولاً لتربية جميع أفراد المجتمع، ولهذا وجدنا أن الرسول اهـتم اهتمـاما كبيـرا بالتربـية الاخلاقيـة فى جميـع المراحل والمسـتويات التعليمية، وإذا علمنا أنه لا يوجد اليوم فى بعض البلاد الاسلامية متخصصون فى هذا الميدان فكـم يدعو الأمر إلى الاعتناء بالـتربية الأخلاقية فى المجـالين: تكوين المربين، وتنشئة أو تكوين الجيل وتربيتهم بالتربية الأخلاقية الحضارية اللازمة.

الفصل الخامس

أهم أساليب التربية الأخلاقية في بناء الحضارة الإنسانية



إن من الأمور المهمة فى أى بحث معالجة الموضوع بأساليب واضحة وهذا ما دفعنى إلى عقد هذا الفصل وأهم تلك الأساليب هي الآتية:

أولاً : تبصير الأجيال هندسة هذه الحضارة بجميع أبعادها وكيفية بنائها، وذلك باعتبار أن بناء هذه الحضارة هدف من أهداف التربية الإسلامية، والهدف يجب أن يكون واضحا فى الأذهان، لأن غموض الهدف من عوائق تحقيقه وعدول الناس عنه أوعدم الإنتفاع إليه.

ثانياً : تحديد أفضل الطرق الموصلة إلى تحقيقها، ذلك أنه لايكفى أن يكون الهدف واضحاً، بل لابد أن يكون الطريق المؤدى إليه مرسوماً وواضحاً أيضا، وأحياناً ترسم الأهداف وتحدد، ولكن لعدم تحديد الطريق إليها يضل الناس فى الطريق أويتيهون فى البحث عنها، أويكون هناك عدة طرق، بعضها يكون قصيراً والآخر يكون طويلاً، واتباع الناس الطرق الطويلة يؤدى إلى تأخرهم وتخلفهم فى تحقيق الأهداف والآمال؛ لذا فإن رسم الطريق الأحسن والأفضل والأيسر من أسباب التقدم فى الحضارات.

ثالثاً:تكوين القناعة لدى الأجيال بأهمية هذه الحضارة،وضرورتها .

وذلك بإبراز قيمتها وضرورتها، وأنها خير وسيلة لبناء خير أمة أخرجت للناس، وذلك بعد بيان جوانب النقص فى الحضارات السابقة والحاضرة، كما بينها بعض مقومو الحضارات من الباحثين الغربيين والشرقيين، فإذا كان المفكرون الغربيون أنفسهم ينقدون حضاراتهم ويدعون إلى بناء حضارة جديدة تقوم على أسس سليمة [1] فنحن أولى بنا لئلاّ نفتتن بمباهجها ونخدع بمظاهرها، أن نقيم حضارة إسلامية تتمثل فيها شخصية الأمة الإسلامية والقيم الإسلامية الحضارية.

---

(١) أ- انظر إلى التقارير الواردة فى هذا المجال فى كتاب فلسفة الحضارة تأليف ألبرت أشفيتسر، مرجع سابق- الفصل الأول والثانى.

ب- وكتاب: إطار إسلامي للمفكر المعاصر. أنور الجندي، المكتب الإسلامي بيروت ١٩٨٠ص ١٦٤-١٦٨.

رابعاً : تكوين الثقة بالنفس لدى الأجيال بأنهم قادرون على إقامة حضارتهم بأنفسهم.

ذلك أنهم أحفاد أجداد أقاموا فى عصرهم حضارة تفوقوا بها على غيرهم، وأن العقول أعدل الأشياء قسمة بين الأمم، كما يقول بعض المفكرين. ولهذا فلا ينبغي أن يكون الشعور بالنقص لدى أجيالنا بالنسبة إلى الأمم المتقدمة اليوم، فقد كانت فى فترة زمنية أكثر تخلفاً منا. ثم إن تكوين القناعة مهم جداً لتحقيق الآمال والأهداف إذ إن الإنسان إذا شعر بالعجز إزاء القيام بعمل ما لايستطيع القيام به؛ لأن الشعور بالعجز يجعل الإنسان عاجزا. ولهذا كان الرسول ﷺ يستعيذ من العجز والكسل؛ لأنهما آفة من آفات الناس والأمم، وسبب من أسباب التخلف فى كل الميادين.

ومن وسائل تكوين القناعة التدريب على الأعمال الحضارية. لأن الإنسان قد يقول فى البداية عن عمل: أنا لاأستطيع القيام به، ولكن بعد تدريبه بالتدريج يستطيع، ونتيجة لذلك تتكون عنده القناعة التامة.

ومن تلك الوسائل أيضاً تبصير الأجيال باعترافات الغربيين بمدى تقدم المسلمين فى بناء الحضارة سابقاً وأثرها على حضارة الغرب[1] .

خامساً: تنشئة الأجيال على ممارسة القيم الحضارية فى جميع المراحل التعليمية.

وينبغي أن تحدد المناطق التعليمية الحضارية لكل مرحلة من المراحل التعليمية بعد تحديد القيم الحضارية المناسبة لها.

وأن يحدد مايمكن أن تسهم به كل مرحلة تعليمية فى تطبيقها، فإن إسهام الأجيال فى تلك المراحل سوف يكون بارزاً فى التقدم، ويكون ذلك تدريباً لهم على ممارسة البناء، ولاينبغي أن نستهين بالطاقات الشبابية؛ لأننا إذا قدرناها حق قدرها وجدنا الأوقات ومجالات الاستفادة منها كثيرة جداً فإذا استثمرنا أوقات النشاط المدرسى مثلاً كما ينبغي؛ فإننا نستطيع إنجاز أمور فوق تصور كثير من الناس، وبخاصة اذا استفدنا فى ذلك من تجارب الأمم المتقدمة فى مجالات استغلال طاقات شبابها.

---

(١) القيم الحضارية فى رسالة الإسلام- د. محمد فتحى عثمان، الدار السعودية-جدة ١٤٠٥هـ: ص١٣٥.

ويمكن أن نذكر بعض تلك القيم على سبيل المثال لا الحصر فيما يلى:

١ -قيمة مراعاة ظاهرة النظافة والطهارة:

ان هذه الظاهرة لها جوانب مهمة متعددة، مثل الأهمية الاقتصادية والصحية، والجمالية والاجتماعية، والدعوية والحضارية.

فمن الناحية الاقتصادية مثلاً: تنشأ خسارة اقتصادية كبيرة لدى الأفراد والجماعات والدول نتيجة عدم تربية الأجيال على مراعاة النظافة في البيئة مثل المدرسة والمنازل والشوارع والعمارات والمرافق الأخرى. لأن الأفراد يوسخون ويتلفون الأدوات وذلك يكلف الناس والدولة أمولاً طائلة على مستوى البلاد، كما يدفع ذلك الدولة إلى زيادة عمال النظافة فى المرافق المختلفة، ولإبراز حجم الخسارة هنا على الدولة، نضرب هذا المثل:

إذا كان يوجد لدى الدولة/ ٢٠/ ألف بناية دراسية، فإن الحاجة إلى طلائها أو تبييضها نتيجة تلويث الطلاب لمرافقها تكلف أموالاً كثيرة وإذا كان متوسط تكلفة بناية واحدة فى حدود ١٠٠٠٠٠ ريال تقريبا فيكون حساب تكلفة ذلك كله كمايلى:

١٠٠٠٠٠×٢٠٠٠٠=٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠ / ملياران من الريالات، إضافة إلى تكلفة إعادة تأثيث المدارس والمساكن، أضف إلى ذلك خسارة أصحاب العمارات والمنازل.

ومن الناحية الصحية: نحن نعلم أن كثيراً من الأمراض تنشأ وتنتقل العدوى بسبب عدم مراعاة النظافة والطهارة. وانتشار الأمراض يؤدى إلى خسارة الدولة والمصابين، بسبب تكلفة العلاج الفردى والجماعى فى الداخل والخارج؛ إذ إن هناك حالة مرضية واحدة قد تكلف الدولة/ مائة ألف ريال/ .

وبخاصة إذا تمت المعالجة كلها فى الخارج.

ومن ناحيــة القيمة الجماليــة والحضارية، فإن مــراعاتها تزين الشــوارع والمبانى والمرافق، وعدم مراعاتها تصبح مناظرها قبيحة مؤذية.

ومن الناحية الاجـتماعية: نجد القــذارة تنفر الناس بـعضهم من بـعض، إذ نجد الناس- لعدم مراعاتهم نظافة الجسم والملبس- تفوح منهم روائح كريهة لدرجة أنها تجعل الإنسان يبتعد عن مجالسة هؤلاء دومــاً وعدم مصاحبتهم، ويحصل هذا أيضاً فى الأحياء الـسكنية، إذ فى بـعض الأحياء تفوح الراوئــح الكريهة والمنــفرة لعدم مراعاة أهلها النظافة.

ومن الناحية الدعوية: نجد عدم مراعــاة النظافة تعطــى فكرة سيئة عن المــسلمين بالنسبة للأجــانب، وبخاصة فى الدول الغربية، فقــد قرأت مرة فى إحدى الجرائد عن مآخــذ الفرنسيــين على المســلمين حول عدم مــراعاة النظافــة فى المناطــق التى يسكــنون فيها، وتــوسيخ أولادهم المرافــق العامة والخاصــة، ويقول الفرنــسيون: يعرف الإنسان المناطق السكنية للمسلمين من الروائح التى تفوح منها.

وفى إحدي زياراتى لتلك البلاد أردت الـتعرف على مدى صدق هذه الدعوى، فنزلت فى حى، وقلت إن فرنسا دولة حــضارية، وأنا لاأجد فارقاً بين بلادنا وبين هذه المناطق من حيث النظافة، فقالوا: هذه مناطق سكينة للمسلمين، وأنت عندما تزور المناطق الأخرى من المدينة ترى الفروق الواضحة.

ونقل لى بعض المسلمين أن الفرنسيين لايريدون أن يسكن المسلمون بينهم أو فى عماراتــهم. لأن أولادهم يوسخون الـعمارة ويخربــون المصاعد ويزعجــون الناس بالضوضاء، والحقيــقة فإن هذه الظاهرة نراها فى كل مكان ويــجب أن نعترف بهذه الحقيــقة لأنها مألــوفة فى بلاد المســلمين ولا يمكن تــغييرها إلاّ بــالتربية الحــضارية الجادة. لأن المسلــمين بسلوكهم هــذا فى فرنسا وغيرهــا يسيئون إلى أنفــسهم وإلى دينهــم. وبعض الذين أسلــموا فى بلادهــم ثم لمـا قدموا الى ديار المســلمين ورأوا مالاعــين رأت ولاخطر ببــالهم. لأنــهم ظنــوا أن الإسلام يطابــق الواقع فــى بلاد

المسلمين، كما تعلموا ذلك عن طريق القراءة فى الكتب والمجلات، فقالوا لو علمنا هذا الوضع ورأيناه قبل أن نسلم لما أسلمنا. مع أنه ليس هناك دين يعطى الأهمية والقيمة للنظافة والطهارة مثل الإسلام، إذ إنه يوجب النظافة وطهارة الظاهر والباطن والبيئة فى كل مكان.

لدرجة أنه جعلها من الإيمان، فقد قال النبى ﷺ : (الطهور شطر الإيمان)[1]، وقال أيضاً: (إن الله طيب يحب الطيب، ونظيف يحب النظافة [2]).

٢ - **ومن القيم الحضارية الإسلامية** احترام مشاعر الآخرين وحقوقهم وممتلكاتهم لدرجة أن يضع الإنسان نفسه موضع الآخرين فى التعامل معهم.

وهذا يقتضى من الإنسان رقة المعاملة فى كل المجالات، ويستلزم ذلك ترك الغلظة والفظاظة وتجنب القبائح من السلوك والشتائم من الألفاظ والهمز والغمز وازدراء الآخرين بالحركات والإشارات والألفاظ، وذلك من الحضارة، بل يبالغ بعض دراسى الحضارة فى تعريفهم للحضارة: بأنها رقة المعاملة.

وتقتضى تلك القيمة أيضاً احترام حقوق الآخرين بصرف النظر عن جنسهم ولونهم ودينهم.

ويستلزم ذلك عدم الظلم والبغي وعدم الاعتداء على أعراض الناس وأموالهم وأنفسهم، وكل ما لايرضاه الانسان لنفسه لاينبغى أن يعامل الآخرين به، وذلك بناء على حديث الرسول ﷺ (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) [3]؛ ويشمل ذلك المسلمين وغير المسلمين المقيمين فى البلاد الإسلامية. لأن الرسول نهى عن إيذاء أى إنسان حتى الذمى فقال :(من آذى ذمياً فأنا

---

(١) صحيح مسلم- كتاب الطهارة، جـ١ ص٢٠٣.
(٢) الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير. الإمام السيوطى جـ١ ص٧٠.
(٣) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، -محمد فؤاد عبد الباقى، مطبعة عيسى البابى الحلبى، القاهرة جـ١ ص٢٠.

خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة[1]) وقال :(من حمل السلاح علينا فليس منا) [2].وقال(من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه)[3].

فإن معظم المشكلات الاجتماعية والخصومات والعداوات والصراعات ناشئة من عدم تطبيق مثل هذه القيم وعدم تربيية الأجيال عليها تربية إسلامية. ويترتب على تلك المشكلات الاجتماعية العدوانية خسائر مادية اقتصادية وبشرية وتدمير المرافق والمساكن، إذ كلما ازدادت الجرائم ازدادت نسبة الخسارة الاقتصادية. لأن ميزانيات الدولة المخصصة للعدالة والمحاكم والسجون من أجل ذلك، وكل ميزانية وزارة العدل والداخلية وضعت أصلا للقضاء على مثل هذه المشكلات.

ولكن لايمكن القضاء عليها إلا بتربية الأجيال تربية أخلاقية حضارية إسلامية عن طريق تزكية النفوس، ونبذ الرح الإجرامية وتكوين الروح الخيرة الدافعة إلى التسابق فى الخيرات وإيثار مصلحة المجتمع والقضاء على الأنانية، وتكوين روح الخضوع للقيم الأخلاقية.

٣-ومن تلك القيم أيضا: التعاون على البر وعدم التعاون على الإثم. فهذه القيمة لها أهمية كبرى فى بناء الحضارة الإنسانية الخيرة، وفى توفير الأموال للدولة، والتنمية الاقتصادية، ولتحقيق الأمن والاستقرار إذا ربى الأجيال عليها على نطاق واسع وتدريب الشباب على ممارسة القيم الحضارية فى المجالات المتنوعة للاستفادة من الطاقات الشبابية واستثمار أوقات الفراغ فى الإجازات. فلذلك أثر كبير فى التقدم ولإبراز حجم المردود الاقتصادى والعمرانى فى ذلك نقدم نموذجاً علمياً هو الآتى:

(١) الجامع الصغير- الإمام السيوطى جـ٢، ص١٥٨.

(٢) المرجع السابق-جـ ٢ ص ١٧٠

(٣)المرجع السابق-جـ٢، ص١٦٤.

فقد حدث فى عهد حكومة من الحكومات أنها رأت أن تستفيد من طاقات شبابها فى أوقات الإجازات فى التعمير والبناء، فأعلنت فى أنحاء البلاد فى القرى والأرياف عن حاجتها الى بناء المدارس والمساجد وفتح الطرق وجر المياه، وما إلى ذلك من تحقيق المرافق العامة، وبينت الحكومة للناس أن هذه الأعمال هى لمصلحتكم وتوفير حاجاتكم، وإمكانات الدولة لاتكفى لتحقيقها، وإنما يمكن تحقيقها بالتعاون مع الدولة لإنجازها.

فأرسلت الدولة مهندسين لرسم خرائط لمبانى المدارس والمساجد والطرق وما إلى ذلك، ووزعت الأعمال على أعداد كبيرة من الشباب الذين يستطيعون العمل، وحددت عدد الأيام اللازمة ليعمل فيها كل واحد فى المبانى، كما وزعت مسافات الطرق على عدد الأهالى، على أن ينتهى كل واحد من إنجاز نصيبه فى مدة محددة مثلاً: ١٥أو٢٠ أو٣٠ يوماً، على أن يعمل بنفسه أويأتى بعمال ينجزون له نصيبه على حسابه، ونتيجة لهذا النشاط، وخلال الفترة التى حددتها الحكومة بنيت آلاف المدارس وآلاف المساجد وأذكر أن عدد المساجد التى بنيت خلال تلك الفقرة كان خمسة عشر ألف مسجد.

وذلك خلال عشر سنوات، أى بمعدل/ ١٥٠٠/ مسجد كل عام. وقس على ذلك عدد المدارس ومسافات الطرق التى فتحت وعدد القرى التى وصلت إلى المياه وكان إسهام الدولة بارسال المهندسين وبتقديم مواد البناء ومواسير المياه ومتابعة المراقبة وما إلى ذلك.

هذا وهناك قيم حضارية أخرى ذكرنا كثيراً منها سبق عن جوهر الحضارة ومظاهرها وعناصرها وميزاتها، فالمهم هنا أن نعرف أن تلك القيم والمبادئ الحضارية لاتنعكس على الواقع الإبالتربية الحضارية للأجيال.

سادساً : إشعار الأجيال بأن إقامة مثل هذه الحضارة تحتاج إلى جهود جبارة ومدة طويلة، فالأمر يحتاج الى التقدم فى العلوم والتقنيات والصناعات، ولابد من إعطاء الأمثلة عن جهود الأمم فى تقدمها الحضارى وكيفية تسخير قوى شبابها فى مجالات البناء والتعمير؛ لأن الاستعداد النفسى لحجم

العمل من أسباب النجاح، فإذا أقدم الإنسان على عمل مدركاً حجم صعوبته لايعدل عنه عندما يواجه الصعوبات.

أما إذا كان تصوره لحجم العمل أقل مما هو فإنه قد يكون سبباً لعدوله عنه.

سابعاً: وجوب توجيه الأجيال باستمرار إلى أهداف بناء الحضارة.

وذلك ببيان أنها أهداف إنسانية وأخلاقية ودينية سامية، وليست لاستعمار البلاد واستعباد العباد وامتصاص خيرات الشعوب، أو الافتخار والتعالى على الآخرين كما أن من أهداف التقدم فى الإسلام نشر القيم الإنسانية والأخلاقية الإسلامية، وتمثيلها فى ممارسات المعطيات الحضارية ونشر الهداية الربانية من غير قهر ولا إكراه. ثم لأن الإسلام ينتشر بتقدم المسلمين بطريق غير مباشر أكثر من انتشاره بطريق دعوية مباشرة.

فعند ماندرس أسباب انتشار الإسلام فى البلاد نجد أن من ضمن أسبابها كانت الأخلاقيات الإسلامية التى كان التجار والقادة يتمثلونها فى معاملاتهم للأجانب.

والتقدم يخدم الدعوة الاسلامية من جهة أخرى، وهى أن المسلمين عندما كانوا يتقدمون فإن الآخرين يربطون ذلك التقدم بالإسلام نفسه ومن ثم يدخلون فى الإسلام، وإذا تخلفوا يرجعون سبب التخلف إلى الإسلام أيضاً ثم يستنكفون عن الدخول فيه، ومن الأدلة على ذلك أيضا ما يذكره بعض المؤرخين من أن رئيس بعض الأقوام الوثنيين أرسل ممثلين إلى أقرب البلاد الإسلامية والمسيحية، وقال لهم انظروا أى البلاد أكثر تقدماً منا، فذهب مجموعة الى القوقاز والآخرون الى الآستانة عاصمة دولة بيزنطة، فرأوا الآستانة أكثر تقدماً، فقال: إن دينهم يساعد على التقدم فادخلوا فى المسيحية، فدخلوا فيها [1]. وكانت البلاد الإسلامية المجاورة لهم قريبة العهد بالإسلام ولم تكن متقدمةً فى ذلك الوقت. ولهذا نرى اليوم كيف يفتتن أهل الأديان ومنهم كثير من المسلمين بالتقدم الحضارى فى الغرب، ومن ثم يدخلون فى النصرانية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن

---

(١)- التاريخ الاسلامى- الاستاذ محمود شاكر- المكتب الاسلامى، بيروت ١٤٠٨هـ جـ٢ص٣٣.

رسم أهداف الحضارة فى الأذهان والتذكير بها باستمرار لهما أهمية من حيث أن الأجيال عندما يتقدمون ينسون الأهداف السامية وينحرفون عنها ثم ينغمسون فى الملذات والأهواء؛ ونتيجة لذلك تأتى نكسة حضارية.

ثامناً : وجوب العناية الدائمة واللازمة بتربية الأجيال تربية إبداعية.

وذلك بتربيتهم على الإبداع، والابتكار والاختراع والتصنيع وإتقان المهن والمهارات المختلفة على حسب احتياجات الأمة الحضارية.

إن كل أسباب التخلف فى الصناعة والتقنية راجعة فى بلادنا أصلاً إلى غياب هذه التربية الإبداعية وعدم الاهتمام بها كما ينبغى، بالصورة التى تهتم بها البلاد المتقدمة، والتربية الإبداعية الشاملة تتطلب الأمور الآتية:

١ - تكوين بصيرة لدى الأجيال بمجالات الإبداع فى العلوم والدارسات والصناعات.

٢ - الكشف عن الاستعدادات الإبداعية لدى الناشئين.

٣ - تحقيق فرص الإبداع والابتكار والاختراع فى مجالاتها.

٤ - تنمية روح الإبداع والابتكار وروح التضحية من أجل ذلك.

٥ - إعداد معلمين مهرة فى الإبداع والابتكار.

٦ - استخدام كافة أنواع التشجيع اللازمة والدافعة إلى الابتكار.

٧ - توجيه أصحاب القدرات الإبداعية إلى المجالات المناسبة لقدارتهم فى مجالات الدارسة والصناعة.

٨ - إنشاء مدارس خاصة للموهوبين.

٩ - إرسال بعثات من ذوى الاستعدادات الإبداعية إلى الدول المتقدمة بعد الاتفاق مع تلك الدول على إتاحة فرص ممارسة الإبداع وأسرار الابتكارات، ورعايتهم رعاية خاصة.

١٠ - استقدام خبراء الإبداع والابتكار من الدول المتقدمة إلى بلادنا، لتربية ذوى الاستعدادات الإبداعية وتدريبهم على أساليب الإبداع والابتكار. وهذا يقتضى اختيار مخلصين منهم والمتجردين من العداوة ضد المسلمين؛ لأن كثيراً منهم لايعطون الأسرار العلمية خوفاً من تقدم المسلمين.

ولكن يجب أن يعرف المسلمون أيضاً كيف يستفيدون ويأخذون أسرار الإبداع والابتكار كما استفادت بعض الدول، فقد استطاعت اليابان مثلا الاستفادة من الغرب بالرغم من أن الغرب ما كان يريد تقدم اليابان لدرجة أن أمريكا أصدرت قراراً بإعدام من يبيع أسراراً تجارية أو اقتصادية لليابان، واعتبر ذلك مثل بيع الأسرار العسكرية. لأن القوة الاقتصادية لاتقل أهمية عن القوة العسكرية، إذ يمكن قيادة العالم بالقوة الاقتصادية كما يمكن ذلك بالقوة العسكرية (١).

كذلك استطاع الروس الاستفادة من العلماء الألمان بالرغم من عداوة الألمان لروسيا، ونرى اليوم أن أمريكا تستفيد من علماء العالم باختلاف أديانهم أكثر من أية دولة أخرى، المهم هنا التعرف على أساليب استخدام العلماء والاستفادة منهم.

تاسعاً: تكوين روح التعاون الفعال من أجل دفع عجلة التقدم الحضارى.

وذلك بتكوين روح التضحية من أجل الإسهام الفعال لدفع عجلة التقدم الحضارى للأمة وذلك يقتضى تبصير كل فرد بما يستطيع الإسهام به فى ميدان عمله وطريقة التعاون مع غيره.

كما يقتضى تحديد الجهود التى يجب بذلها عن طريق التعاون بين الأفراد والجماعات.

ذلك أن كل فرد يجب أن يسهم فى دفع عجلة التقدم الحضارى بما يستطيع من بذل العلم والفكر أو المال والعمل والتعلم والتعليم، وأن يعرف كل فرد كيف

---

(١) يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة: جيمس باترسون- ترجمة الدكتور محمد ابن سعود البشر، الرياض ١٤١٤هـ ص ١٧٠

يستطيع أن يقدم أكبر قدر ممكن من الخدمات فى أقل وقت عن طريق إتقان أعماله كما يجب.

عاشراً : استخدام كافة الحوافز المادية والمعنوية اللازمة

وذلك لدفع عجلة التقدم الحضارى فى جميع مجالات التقدم.

ويجب أن نعرف هنا كمية الحوافز اللازمة لدفع الأجيال إلى التضحية من أجل التقدم، فهناك ثلاثة مقاييس للتعرف على قوة الحوافز اللازمة:

المقياس أو المعيار الأول:

أن نعرف كمية الحوافز التى تستخدمها الدول المتقدمة، وعلى ذلك لاينبغى أن تكون كميتها أقل من ذلك إذا أردنا أن نتقدم مثل تقدمها واذا أردنا التقدم أكثر منها فعلينا أن نزيد من كميتها أكثر مما عندها، ومقدار الحوافز الموجودة عندهم مسجلة يمكن الحصول عليها، فعلى سبيل المثال، فقد تبينت- حسب الدراسات- أن نسبة إنفاق الدول النامية- وهى تمثل أكثر سكان العالم- ٩،٢٪ من مجموع الإنفاق العالمى على البحث العلمى وتطويره، ونجد هذه النسبة تصل إلى ١،٩٧٪ فى الدول المتقدمة، أى فى دول الشمال المتقدمة [١]؛ فكانت هذه الحوافز القوية هى التى جعلت تلك الدول تتقدم بهذه القوة، وتفوقت بها على العالم الثالث.

وكذلك نجد أن مثل هذه الحوافز كانت موجودة فى الدولة العباسية، إذ كان بعض الخلفاء العباسيين يقدم جائزة للعالم على الكتاب الذى يؤلفه مايزن ذلك الكتاب ذهباً أو فضة؛ ولهذا فقد تقدم المسلمون فى تلك الفترة من التاريخ وتفوقوا على العالم وأثروا بالعلوم على حضارة الغرب.

---

(١) قضية التخلف العلمى والتقنى فى العالم الإسلامى المعاصر، د. زغلول راغب النجار، كتاب الأمة رقم /٢٠/ رئاسة المحاكم الشرعية-دولة قطر ١٤٠٩هـ ص٦٤.

(٢) التربية الاسلامية: نظمها. فلسفتها. تاريخها أ.د..أحمد شلبى مكتبة النهضة المصرية-القاهرة ١٩٨٢ ص٢٣٨، ٣٣٥

المقياس الثانى: الحوافز المعنوية

وقد جاء الإسلام بهذه الحوافز واستخدمها المسلمون فى دفع عجلة التقدم العلمى، إذ جعل الإسلام طلب العلم فريضة، كما اعتبر بعض العلماء الاشتغال بالعلم أفضل من العبادة النافلة، ثم اشتغل العلماء المسلمون بالعلوم بروح التعبد لخدمة الدين والأمة(١) . لأن العبادة لها جناحان ، جناح عبادة الله بالواجبات من العبادات المعروفة وجناح خدمة الدين وخدمة عباد الله بالعلوم والمعارف.

وبهذه الروح أنتجوا لنا تلك المجلدات الضخمة وتركوا لنا ذلك التراث العلمى الذى تعجز أجيالنا عن استيعابه، ناهيك عن إنتاج مثله؛ لأننا فقدنا تلك الحوافز المادية والمعنوية معاً.

المقياس الثالث: استخدام الحوافز المادية والمعنوية معاً:

وهذه الحوافز هى أقوى الحوافز، فإذا استطعنا استخدامها فى دفع أجيالنا سوف ننهض من جديد ونتفوق على غيرنا بإذن الله.

ولكن كيف نستخدم تلك الحوافز فى جميع المراحل التعليمية؟ إنَّ هذا يحتاج إلى بحث آخر.

ولكن من أراد مزيداً من الفائدة فى مجال التعرف على طبيعة الحوافز وأنواعها وأساليب استخدامها فى المجالات المختلفة، فليرجع إلى رسالة الدكتوراه التى أعدت فى هذا المجال بإشرافى، تحت عنوان (الحوافز فى التربية الإسلامية)(٢).

---

(١) جامع بيان العلم وفضله: الشيخ يوسف بن عبد البر- دار الكتب العلمية بيروت جـ١ ص٧، ٢١: باب العلم فريضة وباب تفضيل العلم على العبادة.

(٢) الحوافز فى التربية الإسلامية رسالة الدكتوراه: أعدها الدكتور عبد العزيز المحيميد- كلية العلوم الاجتماعية، قسم التربية- الرياض١٤١٣هـ

الخاتمة

أهم النتائج والتوصيات



الخاتمة أهم النتائج والتوصيات

من المعروف- عادةً- أن أى بحث علمى يقتضى فى النهاية أمرين مهمين:

أحدهما: بيان النتائج، وثانيهما: أهم التوصيات.

أما فيما يتعلق ببيان النتائج؛ فلأنها أهم ثمرات الجهود التى جاهد من أجلها الباحث،أو من أجل إثباتها، أما التوصيات فتتعلق عادة بميادين تطبيق نتائج البحث، وقد تتعلق بجهات لايستطيع الباحث تنفيذها بمفرده، وهنا يضطر الباحث إلى إصدار توصيات إلى تلك الجهات، ولهذا نبدأ أولاً بالنتائج:

أولاً :أهم النتائج:

لقد تبين من خلال هذه الدراسة مدى ضروة التربية الأخلاقية الإسلامية فى بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، وأهم النتائج التى تمخضت عن هذه الدراسة هى الآتية:

١ - ضرورة تعليم الأخلاق الإسلامية وتربية الأجيال على قيم هذه الأخلاق فى جميع المؤسسات التعليمية؛ وذلك لتظهر هذه القيم الأخلاقية فى شخصياتهم وفى سلوكياتهم وفى حياتهم الفردية والاجتماعية، ذلك أن زرع القيم فى النفوس مثل زرع الأشجار فى الأرض من حيث الرعاية والسقاية وغيرها مدة طويلة حتى تثمر ثمرة طيبة، وبقدر مايكون فن الزارعة قائماً على العلم والمعرفة بقدر ماتجود الثمار وتتحقق الاستفادة منها، ومن لايزرع لا يحصد على الإطلاق.

وإن ثمار أو نتائج بناء الأفراد خلقياً- التى تحدثنا عنها- لايمكن الحصول عليها إلا بإقرار التربية الأخلاقية فى مناهج التعليم والتربية.

٢ - ضرورة تربية المجتمع بالتربية الأخلاقية، ويتم ذلك بتسخير وسائل الإعلام كلها من الأفلام والصحافة والتلفاز والإذاعة. لأن بها يمكن الدخول إلى كل بيت وإلى كل مكان، ودروس الإعلام ومؤثراتها أقوى وأكثر تأثيراً من الدروس الخصوصية.

كما يستلزم ذلك توجيه الأسرة والمدرسة للعناية بهذه التربية وأن يكون هناك تنسيق بين هذه المؤسسات؛ لتحقيق المقاصد الأخلاقية على مستوى المجتمع والأفراد، فإذا وقع التناقض بين هذه المؤسسات فى هذا المجال وهدم بعضها مابنته الأخرى فلا ننتظر ظهور هذه القيم فى الحياة الاجتماعية.

ومن الأهمية بمكان أن القيم والآداب الاجتماعية التى نريدها فى المدرسة والجامعة من قبل حتى تنعكس على هذه الحياة. لأن الأفراد لبنات المجتمع، ويكون المجتمع كما يكون أفراده من الأخلاق والآداب.

٣ - ضرورة التربية الأخلاقية؛ لإنقاذ المجتمع من شتى الجرائم والانحرافات والصراعات:

لقد تبين من هذه الدارسة أن خير علاج لمعالجة الجرائم والانحرافات والصراعات التى تزداد يوماً بعد يوم فى المجتمعات التى تمزق وحدتها وتهدم كيانها وتخرب اقتصادياتها وتدمر عمرانها.

كما تبين بوضوح أن التقدم العلمى والتقنى والحضارى المتجرد من الأخلاق لم يستطع معالجة تلك المشكلات، بل لم يستطع حتى تقليلها.

وخير دليل على ذلك إحصائيات الأمم المتحدة لنسبة ازدياد الجرائم فيها وأن نسبة زيادتها فيها لاتقل عن المجتمعات المتخلفة. ذلك أن التقدم فى العلوم من غير تربية أخلاقية لايحل تلك المشكلات. لأن العلم سلاح ذو حدين يمكن استخدامه فى الخير ويمكن استخدامه فى الشر، ولاضمان لاستخدامه فى الخير الا باقتران التربية الأخلاقية جنباً إلى جنب بالتعليم المستمر لأن وظيفة هذه التربية الأساسية تزكية نزع الروح الشريرة والنيات والغايات والإرادة السيئة من النفوس أولاً؛ إذ هى السبب الأول لكل الشرور والانحرافات والجرائم والصراعات العدوانية والدموية، ثم تكوين الروح الخيرة وتحلية النفس بكل الفضائل والإرادة الخيرة على نحو يدفع الإنسان إلى المسابقة إلى الخيرات والتضحية من أجل تقدم المجتمع

ورفاهيته، واتخاذ خدمة عباد الله عبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله ويعمل بها لنيل الدرجات عند الله وفى جناته، أكثر مما يعمل لنيل الدرجات والمقامات عند الناس وبذلك يمكن استخدام العلوم والتقنيات كلها فى الخير لا فى الشر. وعندئذ يتحقق التقدم فى العلوم والحضارة لرفاهية الحياة الإنسانية.

٤- ضرورتها للحافظ على الحضارة الانسانية وتقدمها وازدهارها

أما فيما يتعلق بضرورتها لحفظ الحضارة من الانهيار والسقوط، فإن هذه التربية باعتبار أنها تبنى مجتمعا أخلاقياً خيّراً فإن هذه الأخلاقية تنعكس على حضارته. لأن الحضارة تستمد صفاتها من صفات المجتمع الذى يبنيها، فاذا كان خيراً تكون خيرة، وإذا كان فاسداً تكون حضارته فاسدة أيضاً، وإذا كان شريراً أو عدوانياً كانت حضارته عدوانية، وهذه العدوانية تعرضها للخطر باستمرار مهما كانت متقدمة. لأنها تعتدى على المجتمعات الأخرى من حين إلى آخر، وقد تغلب أحياناً، ولكنها لاتفلح فى النهاية، وقد تنهار، تماماً وتسقط نهائيا ولاتسلم هى الأخرى من الاعتداء والعدوان، ومن الأمثلة على ذلك تقدم المانيا وتفوقها، ولكن عدوانيتها فى حربين عالميتين كانت سبباً للانهيار والدمار لنفسها ولغيرها.

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً الامبراطورية الرومانية، التى انهارت بسبب فسادها وظلمها، وانغماس روادها فى الشهوات والصراعات، من أجل السلطة كما سبق ذكرها.

وأما فيما يتعلق بضرورتها لتقدم الحضارة وازدهارها، فإن ذلك يرجع إلى قدرتها على تكوين الروح الخيرة الدافعة إلى الإنجازات والتنمية فى جميع مجالات الحضارة ومساراتها وعناصرها المادية والمعنوية والتشريعية، ذلك أن من وظائف هذه التربية- كما بينا- تكوين روح التسابق، التسابق فى جميع وجوه الخير والتعمير والبناء، ومنها التسابق فى العلوم وفى تنمية الزراعة والتجارة والصناعة والموارد الاقتصاية الأخرى لخدمة عباد الله وإعمار الأرض، كما تدفع إلى التنظيم

الدقيق للحياة؛ لتحقيق أكبر قدر ممكن من واجبات الخلافة فى الأرض من الأعمال والإنجازات، لأن النظام قوة وبقدر مايتم استثمار الأوقات عن طريق التنظيم الدقيق لحياة الأفراد والجماعات يتم إنجاز أكبر قدر ممكن من الأعمال، ولهذا فإن دقة النظام وعدالته ومراعاته الحقوق والمساواة من علامات الحضارة المتقدمة.

ثم إن علم الأخلاق- باعتباره علم الواجبات كما يقول بعضهم- فإن التربية الأخلاقية تعلم الناس طريقة تنظيم الأوقات، على نحو يستطيع الفرد القيام بأكبر قدر ممكن من الواجبات والأعمال فى أقل وقت ممكن.

فالطالب إذا استطاع أن يفعل ذلك تقدم فى التعلم، وسبق من لم يفعل ذلك، والمعلم إذا فعله استطاع أن يعلم أكثر، وسبق غيره في التعليم، وكذلك التاجر والإدارى والمزارع والصانع والعامل والباحث، وكل واحد فى مجاله، وباندفاع هؤلاء بمثل هذه الروح الخيرة تتقدم الحضارة الإنسانية وتزدهر فى جميع المسارات والمجالات.

٥ - ضرورتها لتحقيق الأمن والاستقرار فى البلاد.

وهذه نتيجة طبيعية لهذه التربية؛ لأن تزكية النفوس وتطهيرها من الشرور ومن إرادة الإجرام أولاً، ثم تحليتها بالفضائل والروح الخيرة من أهم وظائفها والالتزام بهذه التربية وتطبيقها على جميع أفراد المجتمع عن طريق التعليم والتربية المستمرة يتكون المجتمع الخير، وإذا تكون هذا المجتمع تزول الجرائم وشتى الانحرافات والصراعات الفردية والاجتماعية، وإذا زالت تلك الآفات من حياة الأفراد والجماعات تحقق الأمن تلقائياً، وإذا تحقق الأمن من هذه الناحية وتحقق التقدم الحضارى من النواحى السابقة تحقق الاستقرار، وازدهرت الحياة والحضارة، لأن الحضارة كما يقول بعض الحضاريين: لاتبدأ إلا بعد تحقق الأمن والاستقرار، لأن الناس عندئذ يستطيعون التفكير فى الإبداعات والاختراعات، أما إذا كان الناس مهددين بالإبادة، أو بالموت بالجوع أو بالإجرام أو بالحروب، فكيف تفكر العقول فى الإبداعات والابتكارات والصناعات والفنون وما إلى ذلك؟

وكذلـك انتشار الـظلم والعـدوانية والاعـتداء على أمـوال الناس وأعراضـهم وأنفسهم مـن عوائق التقدم والتنمـية. لأن الإنسان إذا لم يأمن على مـاله لايندفع الى تـنمـيته. لأن جـهده-فى ظـنه- ضـائع إن عاجـلاً أو آجلاً إمّا بـالسـرقة أو بالغصب، وما إلـى ذلك، وكل تلك الأمور لاتعالج معالجة حـاسمةً إلاّ بمثل هذه التربيـة الإنسانية الخيرة والـعادلة، ولهذا كانـت ضرورية لكل ذلك، كمـا تبلورت نتيجة لهذا البحث.

٦- ضرورتها باعتبارها قوة وطاقة.

ذلك أنها تزود الأجـيال بهذه الطاقة والقـوة المعنوية الدافعة إلـى الأمام والعلى وإلى التسامى والسيطرة، على النوازع والأهواء والشهوات، إذ كما تبين من خلال الدراسـة أن الأخلاق لـها قوة الـدفعـية والقـوة الجاذبـية تسـاعد عـلى التـنظـيم والنظام،وبقدر وجود هـذه القوة وبقدر وجود قوة بقدر ما يكون تـنظيم دقيق فى حياة الفرد والجماعـة بقر ما تتوفر فيها القوة والطاقـة ولقد أدرك وجود هذه القوة والطاقة الـدافعة فى الإسلام بعـض الغربيين حيث ذكـر أحد الذين أسلمـوا منهم فقال مـن دراسة تاريخ الـعالم الإسلامى والـعالم المسيـحى كشفـت سرا وهو أن المسيحيين عـندما تمسكوا بالإسلام تخلـفوا فى الحضارة وأن المسلمين عنـدما تخلوا عن دينهم تخلفـوا فى الحضارة والسبب فى ذلك هو أن الدين المسيـحى ليس دينيا حضاريا أما الإسلام دين حضرة والتخلف عنه تخل عن الحضارة.

ثانياً : أهم التوصيات

والآن، بعد قيام الباحث بمـا يجب عليه من متطلبات وبيان الـنتائج التى توصل اليها بقـيت أمور تتعلق بتـكملة لجوانب البحـث، من حيث تطبيقـها فى المجالات العملية ليستفاد منه كما ينبغى.

وهناك أمور لايستطيع الباحث القيام بها حول تطبيقات نتائج البحث فعليه- فى هذه الحالات- القيام بتوصيات إلى الجهات التى تقع عليـها مسئولية تطبيقها لتحقيق الغاية النهائية من البحث على مستوى المجتمع والأمة.

وأهم تلك التوصيات هى الآتية:

١ - التوصيات الخاصة بالأسرة

باعتبار أن الأسرة هى المؤسسة التربوية الأولى، باعتراف المربين بل إنها أهم مدرسة تكون فيها أخلاقيات الأطفال وشخصياتهم الاجتماعية والصحية والعلمية وغيرها، وإن النقص الحاصل فى تربية الأسرة قد لايمكن تعويضه فى المدرسة، فإن هذه المؤسسة التربوية لها دور فى تنشئة أبناء المجتمع تنشئة أخلاقية بتعويدهم على السلوكيات الخيرة والحسنة وتهذيب نفوسهم وألسنتهم، وتحسين مقاصدهم من التعلم والحياة، وتدريبهم من الصغر على ممارسة أنواع من الخدمات الإنسانية للناس، وكل ذلك من المسئوليات للأسرة إزاء أجيال المجتمع والأمة.

لهذا أوصى القائمين على شئون هذه المدرسة بالاهتمام الزائد بالتربية الأخلاقية؛ لأن تنفيذ الأسرة هذه التربية من البداية، وتدريب أبنائها على السلوكيات الأخلاقية الحضارية له دور كبير فى القضاء على أسباب الانحراف والجرائم، وفى التدريب على القيم الحضارية التى بينّا بعضها عند الحديث عن أساليبها، وان إسهامها لايستهان به فى البناء الحضارى، ولهذا كله أوصى الأسرة بالقيام بما يجب عليها من هذه التربية وتربية أولادها تربية حضارية.

٢ - التوصيات الخاصة بالمدارس

أوصى القائمين على شئون المدارس بالاهتمام اللازم بالتربية الأخلاقية نظرياً وعملياً، فى مناهجها ومناشطها، كما أقرت بعض الدول المتقدمة مثل اليابان.

ويجب أن تعرف المدرسة بادئ ذى بدء أن النقص الخلقى فى بناء الأجيال أخطر من النقص العلمى، كما بينت ذلك من خلال هذه الدراسة ولهذا يقتضى أن يقوّم الطلاب فى الامتحانات من الناحية الخلقية كما يقومون من الناحية العلمية، وأن تخصم درجات على النقص الخلقى كما تخصم على النقص العلمى.

ومن جوانب التربية الأخلاقية التى يجب التركيز عليها تكوين روح التضحية من أجل الأسرة والمجتمع والدولة، وازالة الأنانية والعدوانية والحسد من نفوس الأجيال وقلوبهم.

ومن أهم مايجب أن تهتم به المؤسسات التعليمية:

التربية على الأخلاقيات البيئية والحضارية والتدريب على النظام وتنفيذ العهود والمواعيد واحترام مشاعر الآخرين وممتلكاتهم ومراعاة النظافة فى كل مكان.

٣ - التوصيات الخاصة بالإعلام

يجب أن يعلم الإعلاميون أن الإعلام يستطيع التأثير على أخلاقيات الأجيال، أكثر من المؤسسات الأخرى.

إن كل فيلم وكل صحيفة توزع فى البلاد يمكن أن تلقن دروساً فاسدةً أو دروساً فى الأخلاق الفاضلة كل يوم، وكذلك الإذاعة والتلفاز، ولهذا فإنه إذا فسد الإعلام فسد المجتمع عامة، وإذا صلح، صلح المجتمع.

وللإعلام دور كبير أيضاً فى بناء الحضارة من حيث تشجيع الأجيال عليها وتبصيرهم بأساليب إسهام كل فرد فى بنائها بجهده الشخصى أو بتعاونه مع غيره.

ولهذا فإنى أوصى منتجى الأفلام بأن تكون أفلامهم هادفة لتنمية الوازع الخلقى، ومحفزة إلى تضحيات من أجل الإسهام فى بناء الحضارات الأخلاقية والإنسانية.

وذلك بعرض أفلام المصلحين وأفلام العلماء المسلمين وغيرهم، الذين ضحوا بحياتهم من أجل الإصلاح والإبداع والابتكار وتقدم العلوم وكيف كانوا يعملون بالليل والنهار وكيف كانوا يتحملون الصعاب من أجل ذلك كله حتى يتخلص شبابنا من كسلهم وعجزهم، وأن يتجنبوا عرض القصص والأفلام اللاهية والمفسدة.

كما أوصيهم بأن يعرضوا كفاح الأمم من أجل التقدم والتحضر، وكيفية اجتيازها العوائق وتخطيها الحواجز، بالرغم من أنها عاشت ظروفا قاسية لاتقل عن قسوة ظروفنا إن لم تزد عليها.

وكانت بعضها لا تملك من الموارد الاقتصادية الطبيعية لما نملك، فكيف تقدمت وأصبحت أقوى الأمم اقتصاديا وتقنيا مثل اليابان مثلا، وأوصى أيضاً بالإسهام بتكوين أهداف وطموحات عالية لدى الأجيال من أجل خدمة دينهم وأمتهم؛ لأن

الأجيال التى تفتقد الأهداف السامية والمثل العليا فلن تسعى اليها وبالتالى فلن تصل إليها بأى حال من الأحوال، كما أوصى أخيراً بتشجيع الأجيال على الإنجازات العظيمة والتقدم فى جميع مجالات الحضارة وميادينها وتبصيرهم بأساليبها ووسائلها.

٤ - التوصيات الخاصة بأفراد المجتمع كله

إن من المعروف أن المجتمع يعد بيئة اجتماعية، هذه البيئة إذا فسدت فسدت الأجيال الناشئة، واذا صلحت ساعد ذلك على بناء جيل صالح، ولنضرب لذلك مثلا: بيئة موبوءة بأمراض معدية، فإن من الصعوبة بمكان بقاء الإنسان فيها سليماً من تلك الأمراض؛ لأن الأشياء والهواء تكون ملوثة بالجراثيم، وتنتقل الأمراض عن طريقها وعن طريق المصافحة والمعاشرات أيضاً ،وكذلك البيئة الموبوءة بالمفاسد الأخلاقية.

ولهذا قال تعالى: «والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلاّ نكدا» (١). ولهذا كله أوصى كل فرد فى المجتمع بما يلى:

أ- أن يكون ناصحاً أميناً للآخرين بقدر مايستطيع، إذا رأى من يفسد أو يخرب المرافق أو يوسخ الأماكن، أو يغش أويخون، وأن يتبع فى نصائحه وإرشاداته الأساليب التربوية. لأن الأساليب التربوية لا تؤدى إلى العداوة والضغينة أو القطيعة، وفى حالة عدم نفع تلك الأساليب يتعاون مع الجهات الرسمية لإذاعة كل مايراه مفسداً.

ب- أن يتجنب الأنانية، فإن الأنانية إذا انتشرت فى المجتمعات أصبحت من آفات الحضارات، وأذكر بهذه المناسبة جواب شيخ الإسلام لسؤال السلطان محمد الفاتح عندما قال له: ما آفة الدول والحكومات والمجتمعات قال: انتشار الأنانية بحيث إذا عبّر كل واحد عمّا يجرى حوله من المفاسد بقوله: أنا لايعنينى ذلك.

جـ- أن يعتبر كل إنسان أبناء الآخرين كأبنائه اذا رأى منهم من يفسد أويضر المرافق العامة، أو يظلم أو يفسد، وأن ينصحه نصيحة الأب لابنه، أو الأخ لأخيه، وأن يبصره بما يترتب على سلوكه من الأضرار إن عاجلاً أو آجلاً.

---

(١) سورة الأعراف-٥٨

د- استشعار كل فرد أمام الله بالمسئولية الفـردية عن نفسه والمسئولية الاجتماعية عن غيره، وأن يعتبر البلد بلده والأرض أرضــه ومرافقه كمرافقه من حيث الحفاظ عليها والـدفاع عنها. لأن الحياة العامـة مشتركة، ولهذا شبه الـرسول ﷺ المجتمع وحياته بحياة النـاس فى السفينة فإذا نجت السفينة نجوا جـميعاً، وإذا غرقت غرقوا جمعياً [١]. وهكذا نرى عـدم المبالاة خطر على حيـاة الجماعة لاينبغـى أن يسكت عليه الأفراد، ولهـذا أمر الرسول أن يكون كل فرد جندياً يدافـع عن بلده ويحاول إزالة مفاسدة، فقال: (من رأى مـنكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يسـتطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) [٢].

ولاشك أن هذه المـسئولية علـي درجات، فمسئولـية الفرد العادى مـن الدرجة الأولى عـن أولاده وأسرته ثم عـن إدارته إن كان مـديراً، وكلـما ارتفعـت درجة الإنسان الوظيفية ارتـفعت مسئوليته، وكل إنسان بدرجة مـن الدرجات مسئول عن نفسه وأسرته ومجتمعه وأمته، قـال الرسول ﷺ فى حديثه المشهور : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته. . .)[٣] ، وقال أيضاً: (مامن رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى يـقدرون أن يغيروا عليه فلا يغيروا الاً أصابهم الـله بعقاب من قبل أن يموتوا) [٤].

وقال أيضاً : (إذا عملت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها وكرهها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كمن شهدها) [٥].

هـ- تشجيع كل فرد فى المجتمع من يخدم المجتمع ويخفف آلامه، وأن يتعاون معه إذا احتـاج إلى التعاون. لأن بالتعـاون تتحقق خدمات جـليلة ممالا يستطـيعها الأفراد بجهودهم الشخصية.

---

(١) انظر نص الحديـث فى كتاب جامع الأصول فى أحـاديث الرسول. ابن الأثير، دار الفـكر-بيروت ١٤٠٣هـ جـ٣ ص٥٩٧.

(٢) صحيح مسلم- كتاب الايمان جـ١ ص٦٩و٤٩

(٣) فتح البارى كتاب النكاح، دار الفكر جـ٩ ص٢٩٩

(٤) التاج الجامع- ج٥ ص٢٢٤.

(٥) المرجع السابق جـ٥ ص٢٢٤.

والتشجيع والتعاون قد يكون باللسان وقد يكون بالمال، وقد يكون بالتصويت فى الانتخابات النيابية وغيرها فى البلاد التى فيها أحزاب، ولا ينبغى أن يعمل البعض ويتفرج عليهم الآخرون أو أن يدخل البعض فى ميادين الخدمة والآخرون يراقبون عثراتهم فاذا أخطأوا أو قصروا ينتقدونهم بألسنةٍ حداد.

فإذا رأوا أن الذين دخلوا فى ميادين العمل، ورأوا أنهم يسيرون فى طريق خاطئ أو طريق غير سليم يجب عليهم أن يرشدوهم بأساليب وطرق مباشرة أو غير مباشرة مناسبة لمقامهم ودرجاتهم العلمية والوظيفية حتى يستطيعوا التأثير عليهم ويتجنبوا مغبة نشأة العلاقات العداونية.

وفى الخاتمة ينتظر القارئ رأى الباحث فيما قام به، وفيما يقول فى نهاية المطاف.

فيما يتعلق بتقويم العمل لا أدعى الكمال ولا أنزه نفسى من التقصير، وبخاصة فإن النفس تواقة إلى الكمال وتشعر بالضيق من النقص، ولهذا لايرى االإنسان أحياناً جوانب النقص بالرغم من وجوده، فقد يقرأ الإنسان أحياناً الخطأ صحيحاً فى كتاباته، لأن الكاتب يقرأ- غالباً- ماكتبه عند التصحيح مافى ذهنه لاما كتبه أو طبعه له الطابع، ولهذا تفوت عليه بعض الأخطاء من صنعه أو من صنع الطابع، ولذلك اعتدت إعطاء ما أكتبه لغيرى ليقرأه لخلو ذهنه منه مسبقا؛ ولهذا أيضاً يرى القارئ مالايراه الكاتب نفسه من الأخطاء والتقصير.

ولهذا كله فإن ادعاء الكاتب الكمال مما لايليق به، ولكن مع ذلك فإننى أشعر فى قرارة نفسى أننى أديت أهم مايجب علىَّ من حيث إبراز دور التربية الأخلاقية فى بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية.

كما أننى أشعر أننى حققت أهم الأهداف التى حددتها لنفسى، وبذلت ما فى وسعى لأداء واجبى وتحمل مسئوليتى إزاء هذا الموضوع.

ومع ذلك أرجو من القراء إفادتى بجوانب التقصير- إن قصرت- لتصحيح الأخطاء إن أخطأت وإكمال جوانب التقصير إن قصرت.

والله أسأل التوفيق والسداد للجميع، وهو الهادى الى سواء السبيل.

المراجـــع

أ

١ - **إحياء علوم الدين**

الإمام الغزالى- مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى- القاهرة (د.ت)

٢ - **الأخلاق والسلوك فى الحياة**

وليم مكدوكل - ترجمة جبران سليم إبراهيم- مكتبة مصر: ١٩٦١م

٣ - **أدب الدنيا والدين**

الإمام أبو الحسن الماوردى- مطبعة صبيح وأولاده- القاهرة ١٩٥٤

٤ - **أسس الصحة النفسية**

الدكتور عبد العزيز القوصى- مكتبة النهضة المصرية-القاهرة ١٩٥٦م

٥ - **أسس الصحة والحياة**

الدكتور عبد الرزاق الشهرستانى- مطبعة الآداب- النجف- العراق ١٩٧١م

٦ - **إطار إسلامى للفكر المعاصر. أنور الجندى. المكتب الإسلامى. بيروت ١٩٨٠م**

٧ - **الإمبراطورية الرومانية وسقوطها**

إدورد جيبون- ترجمة محمد على أبودرة- دار الكاتب العربى -القاهرة

٨ - **إميل: جان جاك روسو**

ترجمة الدكتور نظمى لوقا، الشركة العربية للطباعة والنشر- القاهرة ١٩٥٨م

٩ - الإنسان ذلك المجهول

الدكتور أليكسيس كارل، ترجمة أنطوان العبيدى- دار الكتاب المصرى القاهرة(د.ت)

١٠ - الإنسان معجزة الخلق

الدكتور جاك فرج جودة- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة ١٩٧٢م

ب

١١ - بستان الأحبار مختصر نيل الأوطار

الشيخ فيصل بن عبد العزيز- المكتبة السلفية- القاهرة(د.ت)

ت

١٢ - تأملات فى سلوك الإنسان

الدكتور اليكسيس كارل- ترجمة محمد محمد القصاص- مكتبة مصر- القاهرة

١٣ - التاريخ الإسلامى

الاستاذ محمد شاكر- المكتب الإسلامى -بيروت ١٤٠٨هـ

١٥ - تاريخ التربية

مصطفى أمين- مطبعة دار المعارف بمصر١٩٢٥م

١٦ - تجديد فى الفلسفة

جون ديوى، ترجمة مرسى قنديل- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة (د.ت)

١٧ - التربية الأخلاقية

دوركهايم- ترجمة الدكتور السيد محمد البدوى- مكتبة مصر القاهرة(د.ت)

١٨ - التربية

سبنسر-ترجمة محمد السباعى- مطبعة الجريدة-مصر ١٩٠٨م

١٩ - التربية لعالم حائر

سير ريتشارد لفنجستون- ترجمة وديع الضبع- مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨م.

٢١ - التصوف: طريقةً،وتجربةً، ومذهباً

الأستاذ الدكتور محمد كمال جعفر- دار الكتب الجامعية-القاهرة، ١٩٧٠م

٢٢ - تفسير ابن كثير

الإمام ابن كثير- مطبعة عيسى البابى الحلبى ط١-القاهرة

٢٣ - التفسير الكبير (تفسير الفخر الرازى)

الإمام فخر الدين الرازى- المطبعة البهية المصرية- القاهرة(د.ت)

٢٤ - تهذيب الأخلاق

ابن مسكويه- مكتبة صبيح-القاهرة ١٩٥٩م

٢٥ - توجيه المتعلم

د. مقداد يالجن- دار المريح- الرياض ١٤٠٢م

ث

٢٦ - الثقافة الإنسانية وفلسفة التربية فى الشرق والغرب

مباحث دولية، ترجمة أنطوان خورى- دار النشر للجامعيين، بيروت (د.ت)

٢٧ - الثقافة والتربية فى العصور القديمة

دكتور إبراهيم سمعان. دار المعارف. القاهرة، ١٩٦١م

ج

٢٨ - الجامع الصغير

للإمام السيوطى- ملتزم الطبع: عبد الحميد حنفى- القاهرة١٩٥٤م

ح

٢٩ - الحضارة والتحضر

الدكتور عبد المنعم نور- مكتبة القاهرة الحديثة- القاهرة ١٩٧٠م

ر

٣٠ - الرسالة القشيرية

الإمام القشيرى- مطبعة صبيح- القاهرة-١٩٦٦م

٣١ - روح التربية

دكتور غوستاف لوبون- ترجمة عادل زعيتر- مطبعة عيسى البابى الحلبى- القاهرة ١٩٤٩م

٣٢ - رياض الصالحين

الإمام النووى- دار الكتاب العربى- بيروت(د.ت)

س

٣٣ - سنن ابن ماجة

الحافظ أبو عبد الله بن يزيد القزوينى- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى- دار احياء الكتب العربية- القاهرة١٩٥٥م

٣٤ - سنن أبى داود

الإمام أبو داود سليمان ابن الأشعث السجستانى - تحقيق محيى الدين عبد الحميد- المكتبة التجارية القاهرة ١٩٥١م

٣٥ - سنن الدارمى

أبو محمد بن عبد الرحمن الدارمى- شركة الطباعة الفنية المتحدة القاهرة ١٩٦٦م

٣٦ - **السنن النفسية لتطور الأمم**

د. غوستاف لوبون- ترجمة عادل زعيتر- مطبعة عيسى البابى الحلبى القاهرة (د.ت)

٣٧ - **سيكولوجية الشذوذ النفسى**

سيجموند فرويد- ترجمة فؤاد ناصر- دار منشورات أحمد ومحيو بيروت ط٤(د.ت)

ص

٣٨ - **الصحة النفسية**

الدكتور مصطفى فهمى - دار الثقافة- القاهرة ١٩٦٧م

٣٩ - **صحيح مسلم**

الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى دار إحياء الكتب العربية القاهرة (د.ت)

ع

٤٠ -**علم الأخلاق**

الشيخ الرئيس الحسين بن عبد الله بن سينا- طبع ضمن مجموعة الرسائل- مطبعة كردستان ١٣٢٨هـ

٤١ - **علم الأخلاق لأرسطو**

أرسطو- ترجمة أحمد لطفى السيد- مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٢٤م.

٤٢- **علم الأخلاق الإسلامية.**

د. مقداد يالجن. دار عالم الكتب. الرياض ١٤١٣

٤٣ - **علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية**

الدكتور عبد العزيز القوصى- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة ١٩٧٠م

ف

٤٤ - فتح البارى بشرح البخارى

الإمام شهاب الدين بن الفضل العسقلانى، المعروف بابن حجر مطبعة مصطفى البابى الحلبى- القاهرة ١٩٥٩م

٤٥ - فلسفة الحضارة

إلبرت أشفيتسر- ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود- الهيئة العامة للكتاب- القاهرة-١٩٦٣م

٤٦ - الفلسفة الأخلاقية فى الفكر الإسلامى

الدكتور أحمد صبحى- دار المعارف - المعارف- القاهرة ١٩٦٩م

٤٧ - فى الفلسفة والأخلاق

الأستاذ الدكتور محمد كمال جعفر- دار الكتب الجامعية- القاهرة ١٩٦٨م

ق

٤٨- قصة الحضارة

ول ديورانت- ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود- لجنة التأليف والترجمة-القاهرة ١٩٤٩م

٤٩ - قضية التخلف العلمى والتقنى

الدكتور زغلول النجار- كتاب الأمة رقم ٢٠. قطر ١٤٠٩هـ

٥٠ - القيم الحضارية فى رسالة الإسلام

الدكتور محمد فتحى عثمان- الدار السعودية- جدة ١٤٠٥م

ك

٥١ - كتاب الأدب المفرد

الإمام البخارى- المطبعة السلفية ط٢، القاهرة ١٣٧٩هـ.

٥٢ - **كتاب التربية**

كانط- ترجمة الشيخ طنطاوى جوهرى- المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٥٥هـ

٥٣ - **كشاف إصطلاحات الفنون**

للتهانوى تحقيق لطفى عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر- القاهرة ١٩٦٣م

٥٤ - **كشف الخفاء ومزيل الإلباس**

الشيخ محمد العجلونى الجراحى- مكتبة التراث الإسلامى حلب (د.ت)

ل

٥٥ - **اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان**

محمد فؤاد عبد الباقى -مطبعة عيسى البابى الحلبى-القاهرة ١٩٨١م

م

٥٦ - **المستدرك على الصحيحين فى الحديث**

الحاكم النيسابورى- مكتبة النصر الحديثة بالرياض ١٩٨٦م

٥٧ - **المبادئ الأخلاقية فى التربية**

جون ديوى- ترجمة عبد الفتاح السيد هلال، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩١٦م

٥٨ - **مسند الإمام أحمد**

الإمام أحمد بن حنبل- المكتب الإسلامى للطباعة والنشر بيوت ١٩٦٩م

٥٩ - **مشكلة الفن**

الدكتور زكريا إبراهيم-مكتبة مصر- القاهرة ١٩٦٣م

٦٠ - **المقاصد الحسنة**

الإمام الحافظ شمس الدين السخاوى مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٥٦م

٦١ - **مقدمة ابن خلدون**

عبد الرحمن بن خلدون المطبعة الأزهرية بمصر ١٣٤٩هـ

٦٢ - **ميزان العمل**

الإمام الغزالى - مطبعة صبيح- القاهرة ١٩٦٣م

ن

٦٣ - **نظرات فى الإسلام**

الدكتور محمد عبد الله دراز- المكتب الفنى للنشر- القاهرة(د.ت)

هـ

٦٤ - **هداية البارى إلى ترتيب أحاديث البخارى**

السيد عبد الرحيم عنبر الطهطاوى- مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٩هـ

ي

٦٥ - **يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة**

جيمس باترسون- ترجمة الدكتور محمد سعود البشر- الرياض، ١٤١٤هـ.

فهرس الموضوعات



